شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام أحمد بن تيميةَ (رحمه الله)

شرح فضيلة الشيخ العلامة/
عبد الرحمن بن ناصر البراك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا .

أما بعد : فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

الشرح :

الحمد لله ، هذه افتتاحية في العقيدة الواسطية من تأليف الإمام الكبير الشهير بعلمه وجهاده ، وإحيائه للسنن ومحاربته للبدع ، الإمام المعروف أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، رحمه الله ، يقول في هذا الكتاب الموسوم بالعقيدة الواسطية نسبة إلى من طلب من الشيخ كتابتها ، وهو رجل من أهل العلم في نواحي (واسط) ، بلد معروفة في شمال العراق عرفت بالعقيدة الواسطية ، ولا مشاحة في التسمية ، فالمقصود التمييز .

كما أن لشيخ الإسلام مؤلفات كثيرة في مسائل الاعتقاد ، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إن معظم مؤلفات شيخ الإسلام في مسائل الاعتقاد ، فقد ألف في مسائل الاعتقاد مؤلفات مطولة ومختصرة ، ومعظمها ألفها إجابة للسائلين ، فهو لا يكاد يبتدئ التأليف ابتداءً ، بل جل مؤلفاته إجابة لمسائل وردود على المخالفين ، وإن من أنفع ما ألف في الاعتقاد هذه العقيدة ، العقيدة الواسطية ،

.....

التي ذكر أنه كتبها وهو قاعد بعد العصر ، كتبها في مجلس واحد ، وقد نوظر في شأنها وجودل ؛ لأنه قرر فيها اعتقاد أهل السنة والجماعة من السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين وأئمة الدين ومن سلك سبيلهم ، وهذا يخالف ما عليه جمهور الناس من العلماء والعامة ؛ فجمهور الناس وكثير من الناس قد دخلت عليهم المذاهب المبتدعة ، فلذلك ينكرون ويستنكرون ما يخالف ما هم عليه .

وقد أبان ــ رحمه الله ــ في المناظرة التي كتبها ، وبين أنه إنما يقرر في هذا الاعتقاد ما دل عليه الكتاب والسنة ، وما درج عليه أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين ، وأنه في هذه العقيدة يتحرى الألفاظ الشرعية ، فارجعوا إلى هذه المناظرة في مجموع الفتاوى فـي المجلد الثالث صفحة مائة وستين وما بعدها .

وهذه العقيدة متميزة ــ كما قلت ــ على سائر ما ألفه رحمه الله ؛ فإن كثيرا مما ألفه في مسائل الاعتقاد يشتمل على ذكر شبهات المبطلين ومناقشتها مناقشة عقلية وشرعية ، كما هو ظاهر في الرسالة التدمرية ، أما العقيدة الواسطية فإنها خالصة ، فيها تقرير لمعتقد أهل السنة والجماعة وبيان أصولهم مع التدليل على ذلك من القرآن ومن السنة ، من غير تعرض لشبهات المخالفين ، ومن غير تطويل لمناقشتها ، فلذلك كانت هذه العقيدة جديرة بالحفظ

وقد عرض فيها لأكثر المسائل التي وقع فيها الافتراق بين فـرق الأمة وخالف فيها أهل السنة سائر فرق الأمة .

يقول رحمه الله ، في خطبة هذه الرسالة أو هذه العقيدة:(الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)

.....

وهذا مقتبس من القرآن ؛ فإنه تعالى قال في غير موضع : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله** ﴾ ، بل قال في سورة الفتح : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** ﴾ [الفتح : ٢٨] .

وتقدم في الليلة الماضية ذكر المراد باله دى ودين الحق ، وأن الهدى هو العلم النا فع ، ودين الحق هو العمل الصالح ، وأن هذا جماع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

(وكفى بالله شهيدا) كفى الله ، كفى به مطلعا على عباده وأحوالهم الظاهرة والباطنة ، وفي هذا إشارة إلى دليل من أدلة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الإيمان باطلاعه تعالى على أحوال الخلق يستلزم الإيمان بصدق محمد عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل ش يء شهيد** ﴾ [فصلت : ٥٣] .

فكفى دليلا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصدق ما جاء به من القرآن والحكمة ، كفى دليلا على ذلك أنه تعالى على كل شيء شهيد ﴿ **وكفى بالله شهيدا** ﴾ .

(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا) وهذه كلمة التوحيد المركبة من نفي وإثبات ، من نفي إلهية غير الله وإثبات الإلهية لله تعالى وحده ، (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده) فـ (وحده) هذه حال مؤكدة لمدلول الإثبات ، ومدلول الاستثناء (إلا الله) .

(لا شريك له) هذه أيضا جملة مؤكدة لمدلول النفي .

.....

(لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا) وهذا تأكيد بعد توكيد ، إقرارا به وتوحيدا له سبحانه وتعالى في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته .

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) وهكذا يجب أن يشهد الإنسان للنبي صلى الله علي ه وسلم بأنه عبد الله ورسوله ، يجب أن نجمع في الشهادة للرسول عليه الصلاة والسلام بأنه عبد عابد لله ، مربوب مدبر ليس بإله ، وليس له شيء من خصائص الإلهية ، وهو رسول من عند الله ، ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا** ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وهذا هو الصراط المستقيم ، الشهادة بأن محمداً عبد الله ورسوله هو الصراط المستقيم ، فيما يجب اعتقاده في الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فإن الناس في الرسول عليه الصلاة والسلام طرفان ووسط ، فمن الناس من فرط في حقه ، فكذبه ، أو قصر في الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم ، ومنه م من غلا فيه ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها ، وهذا ما حذر منه عليه الصلاة والسلام بقوله : ((لا تطروني)) ــ يعني لا تبالغوا في مدحي ولا تغلو ا في ــ ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله)) ، صلى الله عليه وسلم ، فعرف الصراط المستقيم ، بأنه هو عبد الله ورسوله ، (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) صلى الله عليه وسلم كما في التشهد .

(صلى الله عليه) ، وهذه صفة صلاتنا عليه ، أن نسأل الله أن يصلى عليه ، كما قال صلى الله عليه وسلم لما قال له الصحابة : كيف نصلي عليك ؟ ، قال : ((قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)) ، فصلاتنا على

.....

الرسول عليه الصلاة والسلام هو دعاؤنا وسؤالنا الله بأن يصلي عليه ، ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

وأحسن ما قيل في هذا المقام : أن الصلاة من الله : ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى .

ولنبينا عليه الصلاة والسلام من ثناء الله أكمل ما أثنى الله به على عبد من عباده ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو سيد ولد آدم ، فحظه من صلاة الله ، ومن ثناء الله هو أوفر حظ ونصيب .

(وعلى آله وصحبه) ، والآل هنا هم أتباعه عليه الصلاة والسلام ، وعطفُ الصحابة على الآل في هذا المقام من عطف الخاص على العام ، وقد درج أهل السنة على ذكر الصحابة في الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام ، يعني خارج الصلاة ، أما في الصلاة فيتقيد بما ورد بنص ما ورد .

(وعلى آله وصحبه وسلم) هذا كله دعاء ، له عليه الصلاة والسلام بأن يصلي الله عليه ، وأن يسلم عليه ، ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ ، وصلاتنا عليه وسلامنا عليه بأن نسأل الله تعالى يصلى عليه وبأن يسلم عليه ، ومن صفة السلام ما جاء في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

هذه هي الخطبة ، فقد اشتملت هذه الخطبة على حمد الله ، فله الحمد كله ، وله المدح والثناء كله ؛ لأنه الموصوف بجميع المحامد ، الموصوف بكل كمال ، فلا يستحق الحمد كله والثناء كله إلا المستحق لكل كمال ، .....

الموصوف بجميع نعوت الجلال ، وليس ذلك إلا الله وحده ، فهو الذي له الحمد كله ، وله الملك كله ، وبيده الخير كله ، سبحانه وتعالى .

يقول الشيخ رحمه الله : (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) يعني : وسلم الله عليه ، (تسليما مزيدا) هذا مصدر مؤكد ، تسليما موصولا بالزيادة ، مستمراً دائما ، وسلم تسليما مزيدا .

(أما بعد) هذه جملة يأتي بها للانتقال من المقدمة إلى الشروع في المقصود ، وكان من هديه عليه الصلاة والسلام أنه يقول في خطبه : ((أما بعد)) .

ومعناها عند أهل اللغة : أن مهما يذكر من شيء بعد فهو كذا وكذا .

(أما بعد فهذا اعتقاد) ، فهذا إشارة لما هو حاضر مما سيذكره الشيخ في هذه العقيدة .

(فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة) أهل السنة والجماعة ، وبهذا يتبين أن الشيخ قصد في هذا التعليق ، إلى بيان اعتقاد الفرقة الناجية ، إلى ما يعتقدون في ربهم ، إلى بيان ما يعتقدون مما أمر الله بالإيمان به ، فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة ، ووصفها با لصفتين ، بالناجية والمنصورة أُخذ من حديث افتراق هذه الأمة ، كما في الحديث المشهور المروي في المسانيد والسنن ؛ ((أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة)) ، هذه هي الفرقة الناجية ، قيل : من هي يا رسول الله ؟ ، قال : ((من كان على مثل ما أنا علي ه اليوم وأصحابي)) ، وفي لفظ ((وهي الجماعة)) الفرقة الناجية .

فالفرقة الملتزمة بما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام توصف

.....

بأنها الناجية أخذا من هذا الحديث ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : ((كلها في النار إلا واحدة)) .

وهي (المنصورة) أيضا ؛ فهي موصوفة بالنجاة وبالنصر ، أخذا من قوله عليه الصلاة والسلام : ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذ لهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)) هذه هي الطائفة أو الفرقة الناجية المنصورة ، أهل السنة والجماعة ، الذين التزموا طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عليه جماعة المسلمين ، واعتصموا بحبل الله جميعا ، وجانبوا الفرقة وأسبابها ، أهل السنة والجماعة هذا اعتقادهم

(فهذا اعتقاد الفرقة) الفرقة والطائفة معناهما متقارب .(فهذا اعتقاد الفرقة الناجية والمنصورة أهل السنة والجماعة) .

ثم بين الشيخ هذا الاعتقاد إجمالا بقوله : (وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره) هذه هي أصول الإيمان التي فسر بها النبي الإيمان ، كما في حديث جبريل حين سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبرني عن الإيمان ، قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) ، هذه أصول الإيمان الستة ؛ فجميع مسائل الاعتقاد راجعة إلى هذه الأصول .

إذًا هذا هو اعتقاد الفرقة الناجية على سبيل الإجمال ، وهذا الاعتقاد بالإيمان بهذه الأصول على سبيل الإجمال ، هذا فرض عين على كل مكلف أن يؤمن بهذه الأصول إيمانا مجملا .

الإيمان بالله ، والإيمان بالله يشمل ثلاثة أمور :

.....

- الإيمان به ربا : يعني مالكا مدبرا منعما متفضلا خالقا رازقا .

- والإيمان به إلها معبودا : لا يستحق العبادة غيره .
- والإيمان به مستحقا لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال .

فالإيمان بالله يشمل : الإيمان بربوبيته ، وإلهيته ، وأسمائه وصفاته ، على سبيل الإجمال .

(وملائكته) الإيمان بالملائكة ، لابد من الإيمان بالملائكة كما أخبر الله عنهم في كتابه ، الإيمان بأنهم مخلوقون ، موجودون ، عباد مكرمون ، خيار اختارهم الله واصطفاهم وفضلهم ، وجعلهم عبادا طائعين خاضعين **﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ﴾** في هذا رد على من زعم أن الملائكة بنات الله ، فجعلوهم ولداً لله **﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾** [الأنبياء ٢٦ ــ ٢٨] . **﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربهم يسبحون بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾** وفي الآية الأخرى : **﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾** [الأعراف : ٢٠٦] ، والآيات في ذكر الملائكة وصفاتهم ، وعبادتهم لربهم ، ودوام خضوعهم وتسبيحه كثيرة .

فهم عباد وليسوا آلهة ، **﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾** [الأنبياء : ٢٩] ، وحاشا أن يقول أحد منهم ذلك ، فهم معصومون .

الإيمان بالكتب : وهو الأصل الثالث ، ويتضمن الإيمان بكل ما أنزله الله من كتبه على من شاء من رسله ، ما علمنا منها ، وما لم نعلم ، يجب أن

.....

نؤمن بأن الله أنزل كتبا على من شاء من رسله ، منها التوراة والإنجيل والزبور ، وأعظم كتب الله هو هذا القرآن .

والأصل الرابع : الإيمان بالرسل ، فيجب الإيمان برسل الله إجمالا ، يجب على كل مكلف أن يؤمن برسل الله ، وأن الله أرسل إلى عباده رسلا ، يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ويحذرون من عبادة ما سواه ، يدعون إلى كل خير ، ويحذرون من كل شر .

وقد سمى الله من شاء منهم في كتابه ، وذكر أنه قد قص منهم ما قص ، وطوى علم آخرين **﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴾** [النساء : ١٦٤] .

وهكذا الأصل الخامس : وهو الإيمان باليوم الآخر ، ويعبر عنه بالبعث ؛ لأن البعث هو الذي يكون به الانتقال من دار البرزخ إلى الدار الآخرة ، فيجب الإيمان بهذا الأصل ؛ فهو أصل من أصول الإيمان . وهذه الأصول ، الله تعالى يذكرها مجتمعة في بعض الآيات ، أو يذكر جملة منها ، ويذكرها

في مواضع متفرقة ؛ كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

والإيمان بالقدر يندرج في الإيمان بالله ، وله أدلة مفصلة في القرآن ، ومنها قول الله تعالى : ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ [القمر : ٢٩] ، ومنها

.....

قوله تعالى : ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك لفي كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾ [الحديد : ٢٢] .

ويأتي الكلام في بعض هذه الجوانب مفصلا فيما ذكره الشيخ في هذه الرسالة ، فهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة على سبيل الإجمال ، فهذا اعتقاد الفرقة الناجية ، اعتقادهم على سبيل الإجمال ، اعتقادهم إجمالا ما هو ؟ إذًا نقول : الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر أو بالبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره . هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة على سبيل الإجمال ، فهذه هي أركان الإيمان ، أو أصول الإيمان ، وكما قلت لكم : إن جميع مسائل الاعتقاد يرجع إلى هذه الأصول الستة .

قال رحمه الله :

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكي فون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ؛ لأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفء له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى . فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه .

الشرح :

بعد ما ذكر اعتقاد أهل السنة والجماعة إجمالا ، شرع في ذكر اعتقادهم تفصيلا ، فقال : (ومن الإيمان بالله) مما يدخل في الإيمان بالله ، (الإيمان بما وصف الله به نفسه) في كتابه ، وبما (وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم) ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فيما صح من سنته ، هذا هو من الإيمان بالله ، كما تقدم عنه .

والإيمان بذلك يكون بإثبات ما أثبته الله لنفسه ، وأثبته له رسوله ، وبنفي ما نفاه الله عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله ، يكون الإيمان بهذا بإثبات وبنفي .

يقول الشيخ : (من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل) يصفون الله ، يؤمنون بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله من غير تحريف ، يعني من غير تحريف للنصوص عن وجهها ، ومن غير تحريف للكلم عن

.....

مواضعه ، وهو ما ذم الله به أعداءه اليهود : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ [المائدة : ١٣] .

والتحريف معناه العام : التغيير ، وهو يشمل التغيير اللفظي أو التغيير المعنوي .

فالتحريف اللفظي : يكون بالزيادة عن النص ، أو النقص منه ، أو تغيير الشكل ، فلا يجوز تحريف النصوص ، ولا سيما آيات القرآن ، فآيات القرآن يجب الالتزام بلفظها ، فلا تغيير زيادة ، ولا نقص ، ولا تغيير شكل ، وكذلك سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ لا يجوز تغيير لفظها بما يستلزم تغيير معناها ؛ فإن ذلك من تحريف الكلم عن مواضعه ، بل يجب إجراء النصوص على ظاهرها .

(ومن غير تعطيل) ، ومن غير تعطيل لأسماء الرب وصفاته بنفيها ، تعطيل أسماء الرب وصفاته ، أو تعطيل الرب عن صفات كماله ، إنما يكون بجحدها ونفيها .

مأخوذ التعطيل من العَطَل بمعنى الخلو ، يعني إخلاء الرب عما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله .

فالمعطلة ينفون ما أثبته الله لنفسه ، وينفون ما وصف الله به نفسه ، أو ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله ، فيعطلون الرب عن كماله المقدس ، ينفون استواءه على العرش ، ينفون حقيقة اليدين ، كما سيأتي مفصلا .

(ومن غير تكييف) أيضا ، أي من غير بحث عن كيفية صفات الرب ولا تعرض لتحديد لكنه صفاته .

فأهل السنة والجماعة يصفون الله بما وصف به نفسه ، وما وصفه به

.....

رسوله ، من غير تحريف لنصوص الكتاب والسنة ، ولا تعطيل للنصوص عما دلت عليه ، ولا تعطيل للرب عما يجب إثباته له ، ولا تكييف بصفاته ، ولا تمثل صفاته بصفات خلقه .

إذًا اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ، قائم على الإثبات والنفي ، إثباتًا بلا تشبيه ، وتنزيها له تعالى عن كل نقص وعيب بلا تعطيل خلافا لأهل الضلال الذين غلو ا في الإثبات حتى شبهوا صفاته بصفات خلقه ، فيقول قائلهم : له سمع كسمعي ، وبصر كبصري ، ويد كيدي ،، وخلافا لمن غلا في التنزيه حتى سلب الله صفات كماله ، زعما منه أن إثبات صفاته يستلزم التشبيه .

فلهذا كان مذهب أهل السنة والجماعة بريئا من التشبيه ، وبريئا من التعطيل . فلا ينفون ما وصف الله به نفسه ، ولا يحرفون الكلم ــ أعني أهل السنة ــ ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ؛ فإن الله ذم الملحدين في أسمائه، كما قال تعالى :**﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾** [الأعراف : ١٨٠] ، وقال تعالى : **﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾** [فصلت : ٤٠] .

والإلحاد في أسماء الله ، يكون بنفيها ، أو بنفي معانيها ، أو بتسمية الله بغير ما سمى به نفسه ، أو بتسمية بعض المخلوقين بما هو من خصائصه سبحانه وتعالى .

يقول الشيخ ، رحمه الله : (ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه) كل هذا تأكيد

.....

لما سبق ، وأن مذهب أهل السنة وا لجماعة بريء من هذه الأباطيل : بريء من التعطيل ، بريء من الإلحاد ، من التكييف ، من التحريف ، من التمثيل .

(ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ؛ فإنه سبحانه وتعالى لا سمي له ، ولا ند له ، ولا كفء له) وهذا كله منفيٌّ في كتابه ، **﴿ هل تعلم له سميا ﴾** [مريم :٦٥] **﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾** [

الإخلاص : ٤] ، ﴿ **فتجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾ [البقرة : ٢٢] ، فالسمي والكفء والند ، ألفاظ متقاربة كلها تفسر بالمثيل والنظير ، فهو سبحانه وتعالى لا مثيل له من خلقه ، ولا نظير له من خلقه ، لا سمي ولا كفء ولا ند ، ولا يقاس بخلقه ، سبحانه وتعالى ، وهو أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلا ، وأحسن حديثا من خلقه .

هو أعلم بنفسه ، نعم ، كما قال المسيح عليه السلام : ﴿ **تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب** ﴾ [المائدة : ١١٦] فهو أعلم بنفسه ، فالعباد لا سبيل لهم إلى معرفة أسمائه وصفاته إلا ببيانه وتعريفه وتعليمه سبحانه ، فهو أعلم بنفسه وبغيره ، نعم هو أعلم ؛ لأن علمه محيط بكل شيء .

وهو تعالى أصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ [النساء : ١٢٢] ﴿ **ومن أصدق من الله حديثا** ﴾ [النساء : ٨٧] .

فإذا كان تعالى هو أعلم بنفسه ، وهو أصدق الصادقين ، فكيف يُ كذّب ما أخبر به في كتابه وعلى لسان رسوله ؟ ، كيف لا يثبت ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ؟ .

فالمعطلة قد كذبوا ما أخبر الله به ورسوله من أسمائه تعالى وصفاته ، وهو تعالى أصدق الصادقين ، وهو أعلم بنفسه سبحانه ، وكان هؤلاء الذين

.....

جحدوا ما وصف الله به نفسه ، كأنهم ادعوا لأنفسهم أنهم أعلم بالله من الله ، وأعلم بالله من رسول الله ، وهذا من أبطل الباطل ، وأسفه السفه ، وأعظم الجهل ، ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ ، ﴿ **ومن أحسن من الله حديثا** ﴾ .

قال رحمه الله :

ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ [الصافات : ١٨٠ــ ١٨٢] **، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ومن الشرك والإفك .**

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف به وسمى به نفسه بين النفي والإثبات ، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن ، حيث يقول : ﴿ قل هو الله أحد *الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [الإخلاص] .

وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما ــ أي لا يكرثه ولا يثقله ــ **وهو العلي العظيم ﴾** [البقرة ٢٥٥] **، ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح .**

الشرح :

بعد ما ذكر الشيخ ــ رحمه الله ــ ما يجب في صفاته تعالى ، وأن الواجب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وما وصفه رسوله ، وأن هذا من

الإيمان بالله ، وأن هذا هو سبيل أهل السنة والجماعة .

طريقة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات : أن يصفوا الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، من تغيير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

فلا ينفون ما وصف الله به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، و لا يشبهون صفاته بصفات خلقه ، هذا هو منهجهم ، يثبتون ما أثبته الله لنفسه ، وأثبته له رسوله ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله ، إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل .

ويعتمدون في ذلك على كتاب الله ، وما بينه الله سبحانه وتعالى ، إيمانا بالله ، وإيمانا بكتابه ، ولهذا قال الأئمة في بعض الصفات : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب . الإيمان به هو حقيقة تصديق الله ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومقتضى الإيمان بالله وبرسوله وكتابه يقول الشيخ بعد ما ذكر هذا ، ثم (رسله صادقون مصدوقون) الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم جاءوا في باب الأسماء والصفات ، وغيره ، جاءوا بالحق المبين ، فقولهم هو الحق ، وما جاءوا ب ه هو الحق الذي يجب الإيمان به والالتزام به .

(ثم رسله صادقون) نعم رسل الله صادقون ، بل هم أصدق الناس ؛ لأنهم قد اصطفاهم الله لتبليغ رسالاته ، ولا يصطفي سبحانه وتعالى لتبليغ رسالاته ، وتبليغ شرائعه إلا الصادقين .

(ثم رسله صادقون مصدوقون) في بعض النسخ (مُصدَّقون) نعم الرسل صادقون في كل ما يخبرون به ، معصومون من الكذب عليهم الصلاة والسلام

.....

وهم مصدقون ؛ فالله تعالى يشهد بصدقهم في كلامه : ﴿ **يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين** ﴾ [يس : ١ــ ٣] ، ﴿ **إنك على الحق المبين** ﴾ [النمل : ٧٩] ، وفي الآية الأخرى ، وهم مصدوقون عند الموفقين ، بل إن أعداء الله الكفرة ، هم مصدوقون للرسل في الباطن ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾ [الأنعام : ٣٣] ، وكما قال عن فرعون وقومه : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا** ﴾ [النمل : ١٤] فلا يكذب الرسل ظاهرا وباطنا إلا من لا عقل له ، ما عنده ، أما العقلاء وإن جحدوا ظاهرا عنادا وحسدا وكبرا وما إلى ذلك ، فهم مصدقون لهم في الباطن ، وإن كان هذا التصديق لا ينفعهم ، من صدق بصورة الباطن ، وأظهر تكذيبه فهو الكفور لا ينفعه تصديقه في الباطن .

أما معنى (مصدوقون) ، المصدوق هو المخبر بالصدق ، والصادق هو المُخبِر بالصدق ، والمصدوق هو المُخَبرُ بالصدق ، فالرسل صادقون ؛ لأنهم قد أخبروا بالصدق ، وهم مصدوقون ؛ لأنهم

مُخْبِرَون بالحق ، فهم يتلقون علومهم وما يبلغونه عن الله ، بواسطة وحيه ، وبواسطة رسله من الملائكة ،﴿ **إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين** ﴾ [التكوير : ١٩ــ٢٠] .

إذًا فما قالته الرسل في الله هو الحق ، نفيا و إثباتا ، ولصدق الرسل وأن ما قالوه ، وما يقولونه في رب العالمين أنه هو الحق ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين** ﴾ [الصافات : ١٨٠ــ١٨٢] .

.....

فسبح نفسه ، سبحانه وتعالى ، عما يصفه به الجاهلون والمفترون ، والمشركون ، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون ، سبح نفسه عما يصفونه به

﴿ **سبحان** ﴾ هذه الكلمة تدل على التنزيه ، على النفي ، سبحانه أن يكون له ولد ، سبحانه أ ن تكون له صاحبة ، سبحانه أن ينام ، إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، سبحانه عما يشركون ؛ لأن سبحان هذه فيها دلالة على التنزيه ، على النفي ، على نفي المعائب والنواقص ، والنقائص .

(وسلام على المرسلين) سلام من الله على رسله ، ﴿ **وسلام على المرسلين** ﴾ ، وإنما سلم عليهم ؛ لأنهم أولياؤه ، الصادقون فيما أخبروا به عنه ، المحقون فيما يصفون به ربهم .

ولهذا يقول الشيخ : (وسلام على المرسلين) لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ومن الشرك والإفك .

﴿ **والحمد لله رب العالمين** ﴾ ثناء من الله على نفسه ، بإثبات الحمد كله ل ه ؛ لما له سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات ، من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وبديع المخلوقات .

﴿ **والحمد لله رب العالمين** ﴾ ، فهذه الآيات فيها تنزيه ، وتحميد ، وتمجيد ، وثناء على المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم .

فالرسل هم الأئمة ، وهم القدوة ، ولنا فيهم أسوة ، ولا سيما نبينا خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام ، لنا فيهم أسوة ، وسبيلنا سبيلهم .

يقول الشيخ : (وقد جمع سبحانه وتعالى فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات) يعني وصف الله لنفسه ، وكذلك وصف الرسول لربه ، فيه نفي وإثبات.

.....

المدح يكون بالإثبات فقط أم يكون بالنفي فقط ؟ يكون بالنفي وبالإثبات ، يكون بإثبات الفضائل والكمالات ، وبنفي النقائص والآ فاك ، المدح يكون بنفي وإثبات ، ولهذا جمع الله بما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات ، فهذه قاعدة كررها شيخ الإسلام في غير موضع ، وأعتبرها قاعدة : أن الله

موصوف بالإثبات والنفي ، بإثبات الكمالات ، ونعوت الجلال ، وإثبات الأسماء الحسنى ، وبنفي المعائب والنقائص والآفاك ، فهو السلام وهو القدوس

يقول الشيخ :(فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون) أهل السنة ، الفرقة الناجية المنصورة ، لا محيد لهم ، ولا عدول لهم عن طريق الرسل .

(لا عدول لهم عن سبيل المرسلين) ، **﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ﴾** [يوسف : ١٠٨] ، وقال لنبيه ، سبحانه وتعالى : **﴿ أولئك الذين هدى الله ﴾** ، بعد ما ذكر الأنبياء والمرسلين إجمالا ، وتفصيلا ، قال : **﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾** [الأنعام : ٩٠] .

فلا عدول لأهل السنة عما جاءت به الرسل ، فالصحابة والتابعون ماضون على سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم ، **﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ﴾** ، وسبيل الرسول هو سبيل المؤمنين ، **﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾** [النساء: ١١٥] .

وما جاء به المرسلون في صفاته تعالى وفي غيرها ، هو الصراط المستقيم ، قال الشيخ : (فإنه الصراط المستقيم) .

الصراط : هو الطريق الذي يجمع معاني ، ليس كل طريق هو صراط .

.....

الصراط : هو الطريق المستقيم ، الموصل إلى الغاية ، الواسع المسلوك الواضح ، هذه خمسة معانٍ لا يكون الطريق صراطا إلا أن تكون متوفرة فيه ، هذا معنى ما ذكره ابن القيم في بيان خصائص الصراط ، في كلامه على سورة (الفاتحة) في (مدارك السالكين) ، فالصراط : هو الطريق الواضح البين المستقيم الموصل إلى الغاية ، المسلوك .

وصراط الله مسلوك وسالكوه هم المنعم عليهم ؛ نعم ، فإنه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفقا ، ولا عدول لأهل السنة والجماعة عن الصراط المستقيم ، فالصراط المستقيم هو صراط الم نعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأهل السنة هم داخلون في هذا الفريق في المنعم عليهم على حسب مراتبهم في العلم والدين والفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد :

فقد سبق ذكر قاعدة في باب الأسماء والصفات ألا وهي : الجمع بين النفي والإثبات ، وهو ما عبر عنه الشيخ رحمه الله بقوله : (وقد جمع ــ سبحانه وتعالى ــ فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات) ، وسيوضح هذه القاعدة بذكر شواهدها من القرآن ، وقد سبق شرح هذه القاعدة ، وأن معناها : أنه موصوف بإثبات الكمالات وموصوف بنفي النقائص .

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أن النفي الذي جاء في النصوص والإثبات ، أن القاعدة فيه : هو الإجمال في النفي ، والتفصيل في الإثبات ، يعني أن الإثبات يأتي مفصلاً ، فيه تعداد للأسماء ، وتعداد للصفات ، وتعيين لها ، وأما النفي فيكون عاما مطلقا ، وهو ما يعبر عنه بالإجمال ، هذا هو الغالب على طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

التفصيل في الإثبات ؛ فالرسل جاءوا في صفات الله بإثبات مفصل وبنفي مجمل ، ولكن قد يأتي الإثبات مجملا ، كما قد يأتي النفي مفصلا ، لكن القاعدة الغالبة هو ما تقدم ، تفصيل في الإثبات والإجمال في النفي ، ولعله يأتي لهذا المعنى مزيد إيضاح عند ما نصل إلى شواهد النفي ، ويتم تطبيق هذه القاعدة وإيضاحها ، ثم أيضا النفي الذي يوصف الله به ، هو النفي المتضمن لإثبات كمال ؛ فكل نفي ورد في صفاته فهو متضمن لإثبات كمال ضده ، ضد ذلك المنفي ، أما النفي المحض الذي لا يتضمن ثبوت كمال ، فهذا ما لم يصف الله به نفسه ؛ لأن النفي الذي لا يتضمن ثبوت كمال ، هذا لا يكون مدحا ولا كمالا .

وإذا كان هذا ما جاءت به الرسل فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما

جاء به المرسلون ، بل هم مقتفون لآثار الرسل ، لاسيما خاتمهم الذي له على أمته من واجب الإيمان والمحبة والاتباع ، ما ليس لغيره ، صلوات الله وسلامه عليه ؛ فإن هذا هو الصراط المستقيم .

والصراط المستقيم : هو دين الله الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم في كل باب من أبواب العلم ، في مسائل الاعتقاد ، في باب الأسماء والصفات ، فيما يتعلق باليوم الآخر ، فيما يت غق بسائر أصول الإيمان ، فيما يتعلق بالشرائع والأوامر والنواهي .

وهو صراط المنعم عليم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . بعد هذا يقول الشيخ : (قد دخل في هذه الجملة ــ المشار إليها وهي القاعدة ــ قد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة (الإخلاص) التي تعدل ثلث القرآن ، وهي قوله سبحانه : ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ هذه سورة الإخلاص ؛ لأنها متضمنة للتوحيد العلمي الخبري المستلزم لتوحيد العبادة ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : ((والذي نفسي بيده ، إنها ــ يعني قل هو الله أحد ــ تعدل ثلث القرآن)) ، تعدل ثلث القرآن من حيث الثواب ؛ فتلاوتها مرة واحدة تعدل ثلث القرآن ، ولكن هذا لا يعني الاكتفاء بها عن القرآن ؛ فلابد من تلاوة سائر القرآن ، وتدبر سائر النصوص ، لكن هذا دليل على فضل هذه السورة ، وفضل تلاوتها .

وذكر بعض أهل العلم كذلك ، أن سورة (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن ؛ لأن القرآن ثلاثة أجزاء :

- خبر عن الله ، يعني : خبر عن أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله .

- وقصص : وهو خبر عن الخلق ، عن الرسل وأممهم ، وعن بدء الخلق ، وعن اليوم الآخر ، وهذا نوع .
- والثالث : الأوامر والنواهي .

فالقرآن : توحيد ، وقصص ، وشرائع أوامر ونواهي .

وسورة (قل هو الله أحد) هذه خالصة بالتوحيد ، ليس فيها إلا صفة الرب تعالى ، ولهذا كان بعض الصحابة ، أحد الأمراء في بعض السر ايا كان يختم بها قراءته في الصلاة ، فإذا قرأ بالفاتحة وسورة ختم بها القراءة ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ((سلوه لم يفعل ذلك)) ، فقال : (إنها صفة الرحمن ، وأنا أحبها) ، فقال : ((أخبروه بأن الله يحبه)) ، وفي لفظ : ((أخبروه بأن حبه إياها ادخله الجنة)) أو كما جاء في الحديث .

(قل هو الله أحد) هذه السورة جارية على القاعدة ، الشيخ يقول : (وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص) ، إذاً هذه السورة فيها نفي وإثبات ، ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ إثبات ، ﴿ **الله الصمد** ﴾ إثبات ، ﴿ **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ هذه ثلاثة جمل كلها دالة على نفي .

إذًا هذه السورة هي صفة الرحمن ، وهي مشتملة على نفي وإثبات ، فدلت هذه السورة على اسمين من أسمائه الحسنى : الأحد ، والصمد ، وهذان الاسمان لم يذكرا في غير هذه السورة ، الأحد الصمد .

فأما اسمه الأحد : فهو يدل على وحدانيته ، وهو يتضمن نفي الشريك والشبيه ، فلا شريك ولا شبيه .

واسمه الصمد : فسر بأنه الذي لا يأكل ولا يشرب ، نعم ، وهو لا يأكل

.....

ولا يشرب ؛ لأن هذا هو مُوْجَبُ غناه ، فهو الغني سبحانه وتعالى بذاته عن كل ما سواه ، والآكل والشارب مفتقر إلى ما يأكل وما يشرب ، وهو سبحانه هو الذي يُطعِم ولا يُطْعَمَ ، وهو الذي يرزق وهو الرزاق ذو القوة المتين .

وقيل في معنى الصمد : أنه هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها ، وهو من لوازم غناه وفقر العباد ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد** ﴾ [فاطر : ١٥] وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الصمد : هو السيد الكامل في سؤدده ، والغني الكامل في غناه ، والحكيم الكامل في حكمته ... إلى آخر ما ورد . يعني الصمد : هو الكامل في جميع صفات الكمال .

فهذان اسمان من أسمائه الحسنى ، ذكرا على وجه التعيين والتفصيل والتنصيص عليهما ، فهذا من الإثبات المفصل ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ (لم يلد) ، رد على كل من نسب الولد إليه من اليهود والنصارى والمشركين والفلاسفة وغيرهم ، (لم يلِد) في هذا إبطال لما نسبه إليه المفترون ، ــ (ولم يولد) ، وإن لم يقل أحد من الطوائف المقرة بوجوده سبحانه ــ لا أعلم أن أحدا قال بأنه ولِد ، لكن لما نفى الله الولد عنه ، ونفى الولادة ، تلا ذلك ــ والله أعلم ــ نفى الولادة عن الله ، نفى أن يكون له والد ، لم يلد ولم يولد ، فإنه تعالى ــ كما سيأتي ــ الأول الذي ليس قبله شيء ، فلا بداية لوجوده ، والمولود محدث وهو جزء من والده ، والله سبحانه وتعالى صمد لا تجزؤ في ذاته .

﴿ **ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ لم يكن له أحد نظيراً ، ليس له نظير ، وهذا النفي يتضمن نفي الولد والوالد والكفء ، يتضمن كمال أحديته وصمديته ، فلما أثبت لنفسه أنه الأحد الصمد ، أكد ذلك بنفي الولد والوالد والكفء .

.....

إذًا هذا نفي متضمن لإثبات كمال .

يقول الشيخ ــ ودخل أيضا في هذه الجملة ــ : (ما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله ، وهي آية الكرسي ، وهي قوله تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ الآية [البقرة : ٢٥٥] ، وهذه الآية هي أعظم آية في كتاب الله ، كما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لأبي بن كعب رضي الله عنه : ((أي آية في كتاب الله أعظم ؟)) فقال : آية الكرسي ﴿ **الله لا إله هو ..**﴾ فقال : ((ليهنئك العلم أبا المنذر)) .

وقد أشار الشيخ ــ رحمه الله ــ إلى ما ورد في فضلها ، وأن من فضلها أنه ما قرأها عبد في ليلته ، إلا لم يزل عليه حارس ، ولا يقربه الشيطان حتى يصبح .

كما ثبت هذا في (صحيح البخاري) في قصة الشيطان الذي جاء يحثو من الزكاة التي كان قد وكل الرسول صلى الله عليه وسلم عليها أبا هريرة يحفظها ، فجاء ذلك الشيطان يحثو منها فأخذه أبو هريرة ، فتعلل بأنه في حاجة وعليه عيال ، فرحمه وتركه ، وفي كل م رة يقول له الرسول عليه الصلاة والسلام : ((ما فعل أسيرك البارحة ؟)) ، فقال : إنه ذكر حاجة وعيالاً ، فرحمته ، فقال : ((كذبك وسيعود)) ، يعني لأنه ذكر أنه لا يعود ولكنه عاد ، إلى أن جاء في الثالثة ، فقال : اتركني أعلمك آية في كتاب الله ، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿ **الله لا إله إلا هو** ﴾ ؛ فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ــ هذا شيطان عنده علم ــ فلما جاء أبو هريرة للنبي عليه الصلاة والسلام في المرة الثالثة ، قال :((ما فعل

أسيرك البارحة ؟)) ذكر له ما تعلل به ، وما جعله يتركه في الثالثة ، وذكر أنه قال له : دعني أعلمك آية في كتاب الله ، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿ **الله لا إله إلا هو** ﴾ ، وذكره ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((صدقك وهو كذوب)) .

وبقول الرسول عليه الصلاة والسلام : ((صدقك)) ثبت هذا الفضل ، فهذا الفضل لم يستفده أبو هريرة ولم نستفده من خبر الشيطان ، إنما من تصديق الرسول ، وإنما هذا حق .

الشيطان قد يعلم شيئاً من الفضائل ومن العلوم الشرعية التي يمكن أن يخادع بها بعض الناس ، فهذا تعلل بهذه المعرفة ، اتخذ من هذا وسيلة للتخلص من قبضة أبي هريرة رضي الله عنه .

المقصود ، أن آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله ، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة ، وهذا من أصح ما ورد في فضلها ، فإذا أوى الإنسان إلى فراشه فإنه يشرع له أن يقرأها فإنه لا يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

وورد في سورة (البقرة) عموما أن الشيطان يفر ــ أو ينفر ــ من البيت الذي تقرأ فيه سورة (البقرة) ، ومن أسباب ذلك أنها مشتملة على هذه الآية العظيمة .

والمقصود أن هذه الآية اشتملت أيضا على العديد من أسماء الرب وصفاته ، ولهذا يقول الشيخ : وما وصف الله ، أي قد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في أعظم آية في كتاب الله ﴿ **الله لا إله إلا هو** ﴾ .

فاشتملت على إثبات وحدانيته ﴿ **الله لا إله إلا هو** ﴾ هذه كلمة التوحيد ،

ففي هذا إثبات إلهيته ، ونفي الإلهيةِ عمن سواه ، وهذا تحقيق التوحيد ، لا إله إلا الله .

﴿ **الحي القيوم** ﴾ اسمان من أسمائه الحسنى ، فهو الحي الذي لا يموت ، ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت** ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

الحي : الحياة الكاملة التي لا يعتريها نقص ، وكمال حياته يستلزم ثبوت كمال صفاته الذاتية له سبحانه وتعالى .

ومن أسمائه القيوم : القائم بنفسه ، الغني عمن سواه ، والقائم به غيره ،

فلا قيام لشيء من الموجودات إلا به ، فهو الحي القيوم . فهذان اسمان من أسمائه الحسنى .

وختمت هذه الآية باسمين آخريين وهما : ﴿ **العلي العظيم** ﴾ ، ففيها خمسة أسماء : الله ، الحي ، القيوم ، العلي ، العظيم ، فهذه أسماء جامعة .

الله : هذا هو الاسم الجامع ، لمعاني سائر الأسماء ، سائر الصفات ، وكذلك اسمه الحي القيوم ، اسمان من أسمائه الحسنى .

وقوله : ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ هذا نفي ، أما قوله : ﴿ **الحي القيوم** ﴾ فهذا إثبات ، إذاً هذه الآية فيها إثبات ونفي ، إثبات مفصل وفيها نفي مفصل ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ لا تغلبه السنة وهي النعاس والوسن ولا النوم .

كما في الحديث الصحيح : ((إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ين ام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ــ أو النار ــ لو كشفه لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره)) فهو تعالى الحي القيوم .

وقوله : ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ هذا النفي يتضمن تأكيدا لكمال حياته ، يتضمن كمال حياته وقيوميته ؛ فإن النوم والسنة ينافيان كمال الحياة ؛ لأن النوم أخو الموت ، والسِّنَةُ هي بدايات النوم ، فالله تعالى هو الحي الذي لا يموت ، وهو الحي الذي لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ؛ لأنه لا يليق به النوم . فهذا نفي ، وهذا إثبات .

﴿ **له ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ في هذا إثبات كمال ملكه على كل شيء .

﴿ **من ذا الذي يشفع عنده** ﴾ هذا نفي ، أي لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه ، وهذا يتضمن كمال ملكه ، فلكمال ملكه ، لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه ، بخلاف المخلوق الذي يشفع عنده الشافعون غصبا عنه ، الملوك والكبراء يشفع عندهم مقربوهم بغير إذنهم ، وينزلون على رغبتهم .

والمقصود أن هذه الآية اشتملت على العديد من أسماء الرب ــ كما تقدم ــ والعديد من صفاته ، وقد اشتملت على نفي ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ ، ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده** ﴾ هذا فيه نفي ، وكذلك قوله :﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه** ﴾ فيه نفي ، وهذا لكمال عظمته ، لا يحيط العباد به علما ، كما قال تعالى : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما** ﴾ [طه : ١١٠] .

ومن النفي ا لذي اشتملت عليه هذه الآية ﴿ **ولا يؤوده حفظهما** ﴾ ﴿ **وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما** ﴾ ، وأحسن ما قيل ، والذي عليه جمهور أهل السنة : أن الكرسي موضع قدمي الرب ، مخلوق عظيم لا يقدر قدره إلا الله ، والعرش أعظم منه ، ﴿ **وسع كرسيه السماوات**

والأرض ﴾ الكرسي قد وسع السماوات والأرض ، فهو أعظم من السماوات والأرض ، ﴿ **ولا يؤوده حفظهما** ﴾ يعني لا يشق على الرب تعالى ، ولا يكرثه ولا يعجزه حفظ هذه العوالم ، العلوية والسفلية ، ﴿ **إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا** ﴾ [فاطر : ٤١] .

﴿ **وهو العلي العظيم** ﴾ العلي بكل معاني العلو : ذاتا ، وقدرا ، وقهرا ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، والعوالم كلها في غاية الصغر والضآلة في جانب عظمته .

ومما يدل على كما ل عظمته ، ما جاء في قوله : ﴿ **وما قدروا حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ [الزمر : ٦٧] .

ثم يمضي الشيخ من ذكر سورة الإخلاص وآية الكرسي ، يمضي بذكر الشواهد من القرآن على ما وصف الله به نفسه من النفي والإثبات ، وسنمضي معه مستعرضين لهذه الشواهد ، ونقف معها حسبما يقتضيه المقام ، والله المستعان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال المصنف ، رحمه الله تعالى :

وقوله سبحانه : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ [الحديد : ٣] ، **وقوله سبحانه : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾** [الفرقان : ٥٨] ، **وقوله : ﴿ وهو الحكيم الخبير ﴾** [سبأ : ١] ، **وقوله : ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾** [سبأ : ٢] ، **وقوله : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾** [الأنعام : ٥٩] ، **وقوله : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾** [فاطر : ١١] ، **وقوله : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾** [الطلاق : ١٢] ، **وقوله : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾** [الذاريات : ٥٨] .

الشرح :

ومن النصوص القرآنية المشتملة على أسماء الرب وصفاته ، التي فيها النفي والإثبات ، مما يدخل في الجملة المتقدمة ــ ما وصف الله به نفسه في هذه الآيات التي منها قوله تعالى : **﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾** .

فهذه الآية فيها إثبات أربع ة أسماء من أسماء الله الحسنى : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن . وأحسن ما قيل في تفسير هذه الأسماء ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول إذا أوى إلى فراشه :

((اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى ، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ــ أو كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ــ اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقضِ عنا الدين واغننا من الفقر)) ، فهذا أحسن ما قيل في تفسير هذه الأسماء .

(الأول) هذا اسم من أسمائه ، هو الأول يعني المتقدم على كل شيء ، فكل ما سوى الله فإنه محدث بعد أن لم يكن ، مسبوق بعدم نفسه ، والله تعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء ؛ لأنه لا بداية لوجوده ، سبحانه وتعالى ؛ فهو قديم ، لكن القديم لم يرد في النصوص فلا يعد من أسمائه تعالى ، لا يقال من أسماء الله القديم ، لكن معناه صحيح فيصح الإخبار به عن الله فيقال : الله قديم ، نعم قديم ومتقدم في وجوده على كل شيء ، لا بداية لوجوده ، فهذا معنى حق ثابت للرب سبحانه ، لكنه يغني عنه اسمه الأول ، فالأول هو من أسماء الله الحسنى .

(اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء) (الآخر) هذا الاسم يتضمن دوامه سبحانه وتعالى وبقاءه الذي لا نهاية له ؛ فكل مخلوق يفنى ، والله تعالى لا يفنى ، كما يقول الإمام الطحاوي ، رحمه الله ، في عقيدته : (قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، لا يفنى ولا يبيد ، ولا يكون إلا ما يريد) سبحانه وتعالى .

وما كتب الله لهم البقاء مثل النار ومثل الجنة دوامهما وبقاؤهما ليس ذاتيا لهما ، بل بقاؤهما بإبقاء الله لهما ، أما بقاء الرب فهو ذاتي لا يجوز عليه

الفناء البتة ؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، فهذان اسمان دالان على أزليته وأبديته ، يعني على دوام وجوده في الماضي والمستقبل .

(وأنت الظاهر فليس فوقك شيء) الظاهر يعني العالي ، والظهور من معانيه العلو ، فهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، هو فوق شيء كل شيء ، وهو القاهر فوق عباده وليس فوقه شيء .

(وهو الباطن الذي ليس دونه شيء) فبصره نافذ لجميع المخلوقات ، وسمعه واسع لجميع المخلوقات ، وعلمه محيط بكل شيء ، إذ لا يحجب سمعه شيء ولا يحجب بصره حجاب ، بصره نافذ يرى عباده ، وعلمه محيط بكل شيء ، **﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ﴾** [الحج : ٧٠] ، وليس معنى الباطن أنه تعالى داخل في المخلوقات لا ، بل هو بائن من خلقه ، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته .

وقوله تعالى **﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾** ، تقدم ذكر هذا الاسم (توكل) أمر من الله لنبيه ولسائر المؤمنين ، (وتوكل على الحي) اعتمد على الحي ، وفوض أمرك إليه ، على الحي الذي لا يموت ، فمن توكل عليه فهو حسبه ، ومن توكل على الله فهو حسبه ، **﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنون ﴾** [المائدة : ٢٣] .

والشاهد ، الحي ، فالحي اسم من أسمائه ، والحياة صفة من صفاته ، وقوله : **﴿ لا يموت ﴾** نفي مؤكد لكمال حياته ، فحياته لا يطرأ عليها الموت .

وقوله : ﴿ **وهو الحكيم الخبير** ﴾ ، اسمان من أسمائه الحسنى دالان على كمال حكمته ، وعلى كمال خبرته ، فهو الخبير ، خبير بدقائق الأشياء ،

وهو أخص في المعنى من اسمه العليم وهو الحكيم الخبير .

﴿ **يعلم ما يلج في الأرض** ﴾ ، وكأن هذه الجمل تفصيل لمضمون اسمه الخبير ، يعلم ما يلج في الأرض ، ماذا يدخل في الأرض ، (ما) صيغة عموم ، يعني يعلم كل ما يلج في الأرض ، من الأحياء ، من الحيوانات ، ومن النباتات ، ومن الإنس كل ما يدخل ، ﴿ **يعلم ما يلج في الأرض** ﴾ ، وما يدخل فيها من الجمادات كالمياه التي تغور في الأرض ، الماء يلج في الأرض ، وتبتلعه الأرض ، الحيوانات لها مساكن ، وتأوي إليها في الأرض

﴿ **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها** ﴾ من كل شيء ، سبحان الله العظيم .

﴿**وما ينزل من السماء** ﴾ من الملائكة ومن الأمر الذي ينزل من عنده والأقدار ﴿ **وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** ﴾ يعلم هذا كله ، وهكذا قوله تعالى ﴿ **وعنده مفاتح الغيب** ﴾ ، عنده خزائن الغيب التي استأثر بعلمها ، وهي ــ أو منها ــ الخمس التي لا يعلمها إلا الله ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير**﴾ [لقمان : ٣٤] فهذه خمس تفرد الله بعلمها ، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل .

﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر** ﴾ ، (ما) صيغة عموم ، أي كل ما في البر الله يعلمه ، ﴿ **ويعلم ما في البر والبحر** ﴾ يعلم ما في البحر ، عام ة ما فيه من الحيوانات والنباتات التي لا يحصيها إلا خالقها ، والجمادات .

﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب**

ولا يابس ﴾ ، (رطب ولا يابس) يشمل كل رطب ويابس ؛ لأن هذه كلها نكرات في سياق النفي ، والنكرة في سياق النفي تعم .

﴿ **ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ كل هذه الدقائق وكل هذه المخلوقات ، كلها معلومة للرب والله محيط بها ، وهي أيضا مثبتة في الكتاب المبين ، كتاب المقادير ﴿ **إلا في كتاب مبين** ﴾ .

والآية الأخيرة في هذا الموضوع ﴿ **وما تحمل من أنثى** ﴾ ، أنثى من بني آدم أو من غيره من الأحياء ﴿ **ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب** ﴾ كل ذلك قد أحاط به علمه وكتابه .

فهذه الآيات من سورة الحديد ، سبأ ، فاطر ، كل هذه الآيات ونحوها دالة على إثبات علمه سبحانه وتعالى ، وأنه الموصوف بالعلم المحيط بكل شيء ، فهو تعالى العليم والعلم صفته ، فهو عليم بعلم . وهو تعالى علمه لا يعزب عنه شيء ﴿ **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة** ﴾ [سبأ : ٣] وفيها دليل على إحاطة علمه بكل صغير وكبير ، بالجزئيات وبدقائق المخلوقات ، خلافا للملاحدة الذين يقولون : (إنه لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها ، أو لا يعلم الجزئيات وإنما يعلم المعاني الكلية) ، وفي هذه الآيات رد على من قال : (إنه لا يعلم الشيء إلا بعد وجوده ، أو لا يعلم الجزئيات) ، بل يعلم سبحانه وتعالى ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** ﴾ [الأنعام : ٢٨] .

والمعطلة كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة ينفون حقيقة العلم عن الله ، ينفون صفة العلم ، وهذا إلحاد في أسماء الله وصفاته وتنقص لرب العالمين ،

فإذا كان المخلوق يوصف بالعلم ، فكيف لا يوصف الخالق وهو أحق بكل كمال ؟ فعلمه تعالى ثابت بالعقل وبالسمع ، يعني بالعقل وبالنصوص الشرعية . وقد نبه سبحانه وتعالى على الدليل العقلي في مواضع ، منها قوله تعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾ .

إذًا وجود هذه المخلوقات في غاية من الإحكام دليل على علمه ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [الملك : ١٤] وأهل العلم والإيمان وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه ، فيؤمنون بما في هذه الآيات من الأسماء الحسنى والصفات العُلَى ، فيثبتون علمه بالأشياء قبل وجودها ، ويثبتون علمه بالجزئيات ، ويؤمنون أنه تعالى عليم ، وأن هذا الاسم دال على معنى ، فهو عليم بعلم ، وهو عليم والعلم صفته سبحانه وتعالى ، فسبحان من أحاط بكل شيء علما ، كما في الآية الأخيرة وهي في سورة الطلاق ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير** ﴾ في إثبات صفة القدرة له سبحانه ، ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما** ﴾ .

قال المؤلف ، رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، **وقوله : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾** [الشورى : ١١] ،**وقوله: ﴿ إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾** [النساء : ٥٨] ، **وقوله : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾** [الكهف : ٣٩] ، **وقوله : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾** [البقرة : ٢٥٣] ، **وقوله : ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد ﴾** [المائدة : ١] ، **وقوله : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ﴾** [الأنعام : ١٢٥] ، **وقوله : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾** [البقرة : ٩٥] .

الشرح :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ، هذه أيضا جملة من الآيات المشتملة على بعض أسماء الرب وصفاته ، وهي داخلة في الجملة التي أشار إليها الشيخ ، وهو الآن بصدد تقريرها بشواهدها ، وهي أن الله تعالى جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات ، فوصف نفسه بإثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وبنفي الآفات والعيوب والنقائص ، فمن هذه النصوص القرآنية المشتملة على بعض أسماء الرب وصفاته ، وهي من نصوص الصفات ، وكثير من آي القرآن يقال إنها من نصوص الصفات .

فأول ذلك قوله تعالى : **﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾** ففي هذه الآية إثبات اسم من أسمائه الحسنى وهو (الرزاق) .

رزاق : صيغة تدل على كمال الرزق وكثرة الرزق ، هو الرزاق سبحانه وتعالى ، وقد قال قبلها : **﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد منهم أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾** ، فكل ما يحصل لعباده من رزق مادي أو معنوي ، من علم أو مال أو أي منفع **﴿ وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها ﴾** .

والنصوص المفسرة لهذا الاسم كثيرة ، فهو تعالى خير الرازقين ،

﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ [النحل : ٥٣] كل ما يتقلب فيه العباد من النعم فهو منه ، هو الذي أعطاه وأمد به العباد ﴿**إن الله هو الرزاق** ﴾ .

وما يحصل على أيدي الناس من رزق فهم أسباب فقط ، كالإنسان يرزق أ ولاده ، يكد ويكدح وينفق عليهم ، ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها** ﴾ [النساء : ٥] أمر الله برزقهم ، يعني بالإنفاق عليهم ﴿ **واكسوهم** ﴾ لكن الرزاق حقيقة ، المطعم حقيقة هو الله .

كما دلت هذه الآية على صفة من صفاته وهي القوة ﴿ **ذو القوة** ﴾ القوة التي لا تشبه قو ة المخلوق ، المخلوق يوصف بالقوة ﴿ **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة** ﴾ [الروم : ٥٤] فالمخلوق يوصف بالقوة ، والله يوصف بالقوة ، لكن ليست القوة مثل القوة ، ليست قوة المخلوق كقوة الخالق ولا قوة الخالق كقوة المخلوق .

ومن أسمائه القوي ــ كما لعله سيأتي ــ من أسمائه القوي ، ومن صفاته القوة ، فهو ذو القوة المتين ، يعني الشديد القوة ، ذو قوة وهو متين ، ﴿ **أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة** ﴾ [فصلت : ١٥] .

فيجب الإيمان بذلك ومعرفة الله بذلك ؛ فإن الإيمان بهذه الأسماء له

آثاره السلوكية ، إذا علم الإنسان أن كل الخير بيده والعطاء ، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع توجه بقلبه إلى ربه في كل حوائجه ، فهو الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئة إلا هو ، يوجب له ذلك الرغبة إلى الله ورجاءه وتوكله عليه في حصول الخير ومنافع الدنيا والآخرة ، وإذا علم العبد أنه تعالى القوي وأنه ذو القوة أيضا ازداد تعظيما لربه ورجاءً له وخوفا منه ، فقوته لا يقاومها قوة ، وهي قوة لا يعتريها ضعف ، نعم .

وهكذا يقال في سائر الصفات ، كما تقدم في الآيات الدالة على إثبات العلم ، وعلمه تعالى علم محيط بكل شيء ، يعلم دقائق الأشياء ، كما سبق تفصيله ، كما فصل الله ذلك في مثل الآية التي تليت من قبل ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ ﴿ **وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون** ﴾ [القصص : ٦٩] ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ [فصلت : ٤٧] .

كل ما في الوجود وما يحدث فيه من تحولات وتغيرات وجود مخلوقات وذهاب مخلوقات ، كل ذلك قد أحاط الله به علما ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ **إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا** ﴾ [النساء : ٥٨] ، وقوله ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [الشورى : ١١] نفي

وإثبات ، ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ هذا نفي مجمل ، نفي للمثيل عن الله ، ليس شيء في الوجود مثله ، لا في علمه ولا في سمعه ولا في بصره ولا في قدرته ولا في رزقه ولا في قوته ولا في عزه ، ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، ليس كمثله شيء ، هذا نفي مجمل .

﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ إثبات ، فيه إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى ، فهو السميع وهو البصير ، وفي هذا إثبات لصفتين من صفاته ، ألا وهما السمع والبصر ، فهو السميع ، وهو ذو سمع سميع بسمع ، خلافا للمعطلة الذين ينفون أسماءه أو يعطلون صفاته ، كالمعتزلة الذين يقولون : سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر . هذا جهل وضلال وإلحاد ، إلحاد في أسماء الله ، بل هو سميع بسمع وسمعه واسع لجميع الأصوات ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾ [الزخرف : ٨٠] ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم** ﴾ [المجادلة : ٧] مهما أسر الإنسان في حديثه محادثته ومهما تناجى المتناجون فالله يسمع نجواهم ، يعلم ما جرى بينهم ، سمع ليس كسمع المخلوق ، سمع المخلوق محدود ، سمع المخلوق موهوب له ، الله ه و الذي أعطى الإنسان السمع ، جعل له السمع والبصر والفؤاد ، أما سمع الخالق فليس بمخلوق صفة ذاتية له ، لم يزل ولا يزال سامعا ، ولم يزل ولا يزال بصيرا ، ما زال بصفاته سبحانه وتعالى ، قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، هكذا يقول الإمام الطحاوي في عقيدته فصفاته تعالى أزلية ، سمع وبصر السميع ، والإيمان بذلك له أثر ، إذا وقر في القلب الشعور بأنه تعالى السميع ، وأنه بصير ، أحدث له المراقبة ، لكن تضعف هذه المراقبة عند ضعف الشعور والاستحضار لسمع الرب وبصره .

أما من استحضر أن الله يسمع كلامه ، فسوف يحسب حسابا لما يتكلم به ؛ لأنه يستحضر أن الله يسمعه ، ولكنه يؤتى الإنسان من غفلته عن إطلاع الله عليه وسمعه كلامه .

وتفصيل هذين الصفتين السمع والبصر ، كثير في القرآن ، يسمع كلام المؤمنين ، ويسمع كلام الناس العادي ، ويسمع كلام الكافرين المتنقصين لربهم ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا** ﴾ [آل عمران : ١٨١] سيذكر الشيخ بعض هذه الآيات في موضع آخر ، ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ [المجادلة : ١] هذا من الكلام العادي ، تحاور في قضيتها ، يسمع كلام الرسل في دعوتهم ، وما يرد عليهم قومهم ، كما قال سبحانه وتعالى لموسى وهارون : ﴿ **إنني معكما أسمع وأرى** ﴾ [طه :٤٦]﴿ **إنا معكم مستمعون** ﴾ [الشعراء : ١٥] ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا** ﴾ يسمع السر والنجوى .

بصير ــ سبحانه وتعالى ــ ببصر ، وبصره نافذ لجميع المخلوقات ، فهو السميع البصير ، ولما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ، وضع إبهامه على أذنه ، والسبابة على عينه ، قال أهل العلم : لبيان أن المراد بالسمع والبصر حقيقتهما ، أنه ذو سمع حقيقة ، وذو بصر حقيقة .

ومن الآيات التي تليت ، الآيات الدالة على إثبات المشيئة والإرادة ،

﴿ ولو لا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ [الكهف : ٣٩] هكذا يقول الرجل الصالح المؤمن ، لصاحبه الكافر المغرور بجنته ، الذي لما دخل جنته ، قال : **﴿ ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾** . يقول : لو إنك لو دخلت جنتك تذكرت أنها إنما حصلت بمشيئة الله .

﴿ ما شاء الله ﴾ ، يعني هذا ما شاء الله ، وتذكرت أنه لا قوة لك ولا لغيرك إلا بالله ، لو أنك قلت : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، كان هذا هو الواجب عليك . أما أن تقول : **﴿ ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ﴾** هذا كفر وإنكار للبعث ، وإنكار لفضله سبحانه وتعالى ، وإنكار لربوبيته ؛ لأنه تعالى هو المنعم المتفضل ، هو الذي يعطي ما يشاء لمن يشاء **﴿ ما شاء الله ﴾** يعني هذا ما شاء الله ، يعني هذا كائن بمشيئة الله ، وفعلا ما شاء الله لابد أن يكون ، وما لم يشأ لم يكن ، فكل ما يجري في الوجود ، وكل ما يحصل في الوجود ، من الذوات والصفات والحركات ، فكل ذلك بمشيئته لا يخرج عن مشيئته شيء أبدا ، الحروب الطاحنة والأمور التي تجري ، هي تجري بال قدر ، بمشيئة الله ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد .

والإرادة ، الله أخبر عن نفسه بأنه يريد ، وهو فعال لما يريد **﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾** [البقرة : ١٨٥] ، **﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴾** [النساء : ٢٦] ، **﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾** [الأنعام : ١٢٥] ، فمن صفاته الإرادة ، فهو يريد ، ولكن الإرادة المضافة لله ، قال أهل العلم : نوعان ، إرادة ، قالوا : كونية ، وإرادة شرعية .

أما الإرادة الكونية ، فبمعنى المشيئة ، ومن شواهدها قوله تعالى : **﴿ فعال لما يريد ﴾** [البروج : ١٦] هذه إرادة كونية ، **﴿ فعال لما يريد ﴾** ، كل ما شاءه فإنه فعله ، كل ما أراد الله أن يفعله ، فعله ؛ لأنه لا معارض له ، ولا يستعصي عليه شيء ، **﴿ فعال لما يريد ﴾** ، ومن شواهد الإرادة الكونية ، قوله تعالى : **﴿ فمن يرد الله أن يهديه ﴾** يعني من يشأ الله أن يهديه **﴿**

يشرح

.....

صدره للإسلام ﴾ ، يوسع صدره ، ويقذف النور فيه ، ويجعل فيه القبول للحق ، يقبل الحق بانشراح وسرور ،، ومن يرد أن يضله ، أعوذ بالله ، **﴿ يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾** ينفر من الحق ، يشمئز ، **﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ [الزمر : ٤٥]** والله تعالى يمن على من يشاء ، يهدي من يشاء بفضله وحكمته ، ويضل من يشاء بحكمته وعدله ، يعطي ويمنع ، يهدي ويضل ، ويعز ويذل ، **﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ﴾** [آل عمران : ٢٦] .

وأما الإرادة الشرعية : فهي المتضمنة بالمحبة ، فهي إنما تتعلق بمحابه سبحانه وتعالى ، ومن شواهد الإرادة الشرعية **﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾** ، **﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴾** ،**﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾** ، فهاتان إرادتان .

قال أهل العلم : إن الفرق بين الإرادتين من وجهين :

- أما الإرادة الكونية : فإنها عامة لكل الموجودات ، فهي شاملة لما يحبه سبحانه ، وما لا يحب ، فكل ما في الوجود فهو حاصل بإرادته الكونية ، سواء في ذلك ما يحبه الله ، أو يبغضه ، فكل ما في الوجود فهو حاصل بإرادته الكونية ، التي هي بمعنى المشيئة ، فإنه لا يخرج عن مشيئته ، أو عن إرادته الكونية شيء البتة .

.....

- أما إرادة الشرعية : فهي تختص بما يحبه ، بما يحبه سبحانه فالطاعات مرادة لله شرعا ، أما المعاصي فليست مرادة شرعا ، وما وقع من الطاعات ، إذا صليت مثلا ، نقول : هذه الصلاة تتعلق بها الإرادتان ، الإرادة الكونية ، والإرادة الشرعية ، أقول : ما وقع من الصلاة ، أو أي طاعة تفعلها ، فإنها واقعة بالإرادة الكونية ، ومتعلق ة كذلك بالإرادة الشرعية ، فهي مرادة لله ، كونا وشرعا .

أما ما يقع من المعاصي ، فهذه مرادة لله كونا ؛ لأنه لا يقع في الوجود شيء البتة إلا بإرادته ومشيئته ، سبحانه ، لكن هل المعاصي محبوبة لله ؟ ، لا هي مبغوضة مسخوطة ، وإن كانت واقعة بإرادة الله . فهذا هو الفرق بين الإرادتين ، من وجهين كما تقدم :

- الأول : أن الإرادة الكونية عامة ، لما يحبه الله ، وما لا يحبه ، لكل ما في الوجود ، فكل ما في الوجود ، فهو مراد لله كونا ، وهو حاصل بمشيئته سبحانه وتعالى .

- أما الإرادة الشرعية فهي إنما تتعلق بما يحبه سبحانه وتعالى فقط

قال أهل العلم : فتجتمع الإرادتان في إيمان المؤمن ، وطاعة المطيع ، الكافر ، وتفترق الإرادتان في كفر الكافر ومعصية العاصي ، أليس الكافر مطلوباً منه أن يؤمن ؟ لكنه لم يحصل ، فهو مراد لله شرعا ، ولكنه غير مراد كونا ؛ إذ لو شاء الله لاهتدى ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا** ﴾ [يونس : ٩٩] .

وكذلك الطاعة التي أمر بها العبد ، ولكنه لم يفعلها ، هذه مرادة لله شرعا ،

ولكنها لم تتعلق بها الإرادة الكونية ، إذا لو تعلقت بها الإرادة الكونية لحصلت ، لأنها مما أراده الله كونا ، هذا من الفرق .

ويمكن أن نذكر فرقاً ثالثاً : وهو أن الإرادة الكونية لا يتخلف مرادها أبدا ، أما الإرادة الشرعية فقد يقع وقد لا يقع ، فالله أراد الإيمان من الناس كلهم ، أراده شرعا ، أمرهم به وأحب ذلك منهم ، ولكن منهم من آمن ، ومنهم من كفر .

فالإرادة الكونية ، لا يتخلف مرادها ، أما الإرادة الشرعية فقد يحصل مرادها ، وقد لا يحصل . وهذا ما يتصل بالآيات التي سمعناها ، فيها الإرادة الكونية ، وفيها الإرادة الشرعية ، والمخلوق له إرادة وله مشيئة ، نعم ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة** ﴾ [الأنفال :٦٧] ، كما قال تعالى : ﴿ **لمن شاء منكم يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ ، لكن إرادة المخلوق ومشيئة المخلوق مخلوقة ، وإرادة المخلوق ومشيئة المخلوق مقيدة بمشيئته سبحانه وتعالى ، وتابعة لمشيئته . ومشيئة المخلوق قد يحصل مرادها مقتضاها ، وقد لا يحصل ؛ فقد يشاء الإنسان ما لا يكون ، وقد يكون ما لا يشاء ، هذا شأن المخلوق .

أما الخالق ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ما شاء فلابد أن يكون ، وما لا يشاؤه فلا يكون البتة ؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ، ولا يستعصي عليه شيء ، فما شاء أن يفعله فعله ، ﴿ **وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا** ﴾ [فاطر : ٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم** ﴾ [المائدة : ١] .

﴿ **أحلت لكم بهيمة الأنعام** ﴾ ، الإبل ، والبقر والغنم .

﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ في الآية الثالثة ، وهي الميتة والدم ، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ، وكلها في سورة المائدة .

﴿ **غير محلي الصيد وأنتم حرم** ﴾ فهذا محرم على العباد لقوله : ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً** ﴾ في آخر السورة [المائدة : ٩٦] .

﴿ **إن الله يحكم ما يريد** ﴾ هذه هو الشاهد ، ﴿ **إن الله يحكم ما يريد** ﴾ والإرادة هنا هي الإرادة الشرعية ؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق الأحكام الشرعية ، ﴿ **إن الله يحكم ما يريد** ﴾ ، يحتمل أن تكون الآية شاملة للحكمين والإرادتين ، أعني الحكم الكوني والشرعي ، والإرادة الكونية والشرعية .

والفائدة لمعرفة الفرق بين ما هو مراد لله ، بمعنى أنه قد شاء ، وإلا بال محبة وما أراده بمعنى أنه إرادة ، إرادة تتضمن المحبة ، أنه لا يتأتى فهم هذه النصوص إلا بهذا التقسيم ، ففي ضوء هذا التساؤل ، قد تقول : إن المعاصي مرادة لله !! ، وهذا ما يصح ، لولا هذا التقسيم لحصل الإضطراب في الفهم ، فبهذا التقسيم ، وبهذا التفريق ، وبهذا التفريق ، حصل التمييز بين ما هو مراد لله ، وإن كان هو مبغوضاً له ، وبين ما هو مراد لله وهو محبوب له .

قال رحمه الله تعالى :

وقوله : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ [البقرة : ٩٥] ، **وقوله : ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾** [الحجرات : ٩] ، **وقوله : ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾** [التوبة : ٤] **وقوله : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾** [البقرة : ٢٢٢] ، **وقوله : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾**[آل عمران : ٣١] ، **وقوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾** [المائدة : ٥٤] ، **وقوله: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾** [الصف : ٤] ، **وقوله : ﴿ وهو الغفور الودود ﴾** [البروج : ١٤] .

الشرح :

وهذه أيضا مجموعة من الآيات المشتملة على بعض صفات الرب سبحانه وتعالى ، وهي المحبة ،﴿ **وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** ﴾ ، ﴿ **وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾ ، ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ ، ﴿ **إن الله يحب المتقين** ﴾ ، ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ .

فدلت هذه الآيات ، أنه يحب ، فالمحبة صفة من صفات الله ، كما قلنا في القوة والسمع والبصر والإرادة ، كلها صفات أخبر الله بها عن نفسه . كذلك أخبر أنه يحب بعض عباده .

﴿ **يحب المحسنين** ﴾ ، المحسنين بأعمالهم ، والمحسنين إلى عباد الله.

﴿ **يحب المقسطين** ﴾ المقسطين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلوُّا .

﴿ **يحب التوابين** ﴾ الراجعين إليه عن الذنوب ، وعن التقصير .

﴿ **يحب المتطهرين** ﴾ كما أمروا .

﴿ **يحب المتقين** ﴾ سبحانه وتعالى .

كلها أخبر بها سبحانه وتعالى ، فوجب الإيمان بأن من صفاته المحبة ، وفي هذا غاية الترغيب في هذه الأعمال . إن محبة الله للعبد هي فوق ما يناله من الثواب ، فالمؤمنون المخلصون أولياء الله يتطلعون للفوز بهذه المحبة : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ [آل عمران : ٣١] .

فالمخلوق يوصف بالمحبة ، ولكن مع الفرق ، فللمخلوق محبة تليق به وتناسبه ، يمكن أن يعبر عنها بأنها ميل الشيء ، أو ميل الإنسان إلى ما يرغبه ، أو ما أشبه ذلك .

والله يوصف بالمحبة ، وليست المحبة كالمحبة ، محبة الخالق ليست كمحبة المخلوق ، كذلك العكس ، ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ، لكن محبته محبة حقيقية ، لا ، كما يقول المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين ينفون حقيقة المحبة ، يقولون : الله لا يحب ، ولا تليق به صفة المحبة ، ويفسرون ما جاء في النصوص ــ يحرفون النصوص ــ يفسرونه بالإرادة ، يقولون : ﴿ **يحب المقسطين** ﴾ يعني يريد الإنعام عليهم ، ﴿ **يحب المحسنين** ﴾ ، يعني يريد أن ينعم عليها ، أو يقولون : ﴿ **يحب المقسطين** ﴾ يعني يثيبهم . وهكذا يفسرون المحبة إما بالإرادة ، وإما بالثواب ، أو بإرادة الثواب ، فينفون عن الله حقيقة المحبة .

وهذا مبني على أصولهم الفاسدة ، وأن إثبات هذه الصفات يستلزم التشبيه ، فيقعون في التناقض ، ويفرون من شيء ، فيقعون في نظيره أو في شر منه .

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله ، كما تقدم في ذكر مذهب أهل السنة والجماعة ، فيدخل في ذلك إثبات المحبة ، فأهل السنة يثبتون لله المحبة ، بل يثبتون المحبة من الجانبين ، يقولون أنه تعالى يُحِب ويُحَب ، يحب المؤمنين والمقسطين والمحسنين والمجاهدين ، كما

في الآيات ، ويحبه أولياؤه ، يحبه المؤمنون ، كما قال سبحانه وتعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾** [المائدة : ٥٤] .

بل إنه يختص بمحبته من يشاء ، كما ذكر في هذه الآيات ، بل إنه يفضل بعض عباده في هذه المحبة ، ولهذا اتخذ من عباده من اتخذه خليلا ؛ كإبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، وسائر النبيين ، **﴿ وأتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾** [النساء : ١٢٥] .

ومن الأدلة على إثبات صفة المحبة ، قوله تعالى : **﴿ وهو الغفور الودود ﴾** ، الودود : فعول من المودة ، كغفور يعني كثير المغفرة ، وودود يعني كثير المودة لأوليائه ، وقيل : ودود بمعنى مودود ، أي محبوب ، والأول هو الراجح في تفسير هذا الاسم .

ومودود ، يعني محبوب ، حقاً هو محبوب لأوليائه ، يحبهم ويحبونه ، لكن رجح العلامة ابن القيم في كلامه على هذا الاسم ، أن معناه ودود ، وادٌّ يعني كثير المودة لأوليائه وعباده الصالحين ، إجراء لهذا الاسم مجرى غفور وشكور وما أشبه ذلك ، وعَفُوٌّ من الأسماء الحسنى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله و سلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال المصنف ، رحمه الله تعالى :

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [النمل : ٣٠] ، **وقوله : ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾** [غافر : ٧] ، **وقوله : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾** [الأحزاب : ٤٣] ، **وقوله : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾** [الأعراف : ١٥٦] ، **وقوله : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾** [الأنعام : ٥٤]،**وقوله : ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾** [يونس : ١٠٧] ، **وقوله : ﴿ والله خير حافظ وهو أرحم الراحمين ﴾** [يوسف : ٦٤] .

وقوله : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [المائدة : ١١٩] ، **وقوله : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خلدا فيها غضب الله عليه ولعنه ﴾** [النساء : ٩٣] .

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . هذه مجموعة من الآيات الدالة على بعض أسماء الرب وصفاته ، فهي من نصوص الأسماء والصفات . وهي المشتملة على إثبات اسمه ، الرحمن ، الرحيم ، اسمه الغفور ، وأنه تعالى أرحم الراحمين .

وهذه الأسماء تدل على إثبات صفة الرحمة ، على ما هو مقرر في القاعدة المشهورة ، وهي أن كل اسم متضمن لصفة ، فالله الرحمن الرحيم ، كما في هذه الآية : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ، هذه آية من سورة النمل بإجماع أهل العلم ، في قوله تعالى : ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن**

الرحيم ﴾ .

وأما البسملة التي تفتح بها السور ففيها خلاف ، والصواب أنها آية ، قيل : إنها آية من كل سورة ، وقيل : إنها آية أنزلت للفصل بين السور والدلالة على ابتداء السورة ، وهذا أرجح ، أي إنها آية من القرآن أنزلت للدلالة على أوائل السور ، والفصل بين السور .

وهذان الاسمان : الرحمن الرحيم ، قد جاءا في مواضع كثيرة من القرآن : (الرحمن الرحيم) جاءا مقترنين كما في البسملة ، وفي مواضع أخرى كقوله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، وجاءا متفرقين ، يذكر الرحمن في مواضع وحده ، والرحيم يذكر وحده أو مع اسم آخر ، فالرحيم قرن بأسماء أخرى كالغفور والرؤوف ﴿ **إن الله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ [البقرة : ٢١٨] ، وهذان الاسمان من أسماء الله الحسنى ، فهو الرحمن ، وهو الرحيم ، والمشهور في الفرق بينهما : أن الرحمن يدل على الرحمة العامة ، والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين . وقال بعضهم : الرحمن ، يعني في الدنيا والآخرة ، والرحيم ، يعني في الآخرة ، وهذا قريب من الذي قبله .

والحق أنه سبحانه وتعالى ، الرحمن الرحيم في الدنيا والآخرة ، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الرحمن الرحيم ، اسمان رقيقان ، يعني يدلان على الرحمة ، وهي معنى فيه رقة ؛ لأن الرحمة تقتضي الإنعام ، والإحسان ، والإكرام ، ولا يقال أن هذا تفسير للرحمة ، لا الرحمة صفة معقولة المعنى .

وضد الرحمة القسوة ، وضد الرحمة العذاب ، ﴿ **ربكم أعلم بكم إن يشاء رحمكم وإن يش أ يعذبكم** ﴾ [الإسراء : ٥٤] ، ﴿ **فما أرسلناك عليهم حفيظا** ﴾ [النساء : ٨٠] ﴿ **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون** ﴾ [العنكبوت : ٢١] .

وذكر ابن القيم فـي الفرق بين هذين الاسمين ، بأن الرحمن : يدل على الرحمة الذاتية ، والرحيم : يدل على الرحمة الفعلية .

الرحمة الذاتية للرب سبحانه ، فإنه تعالى لم يزل ولا يزال متصفا بالرحمة ، فالرحمة من صفاته الذاتية .

وهو موصوف بالرحمة الفعلية ، التي تتعلق بها مشيئته ، فهو ي رحم من يشاء ، فهذه الرحمة الفعلية ، صفة فعلية ، يرحم من يشاء ، فلا يزال يرحم من يشاء كيف شاء ، وتقول : لا يزال الله سبحانه وتعالى رحيما ، لم يزل ولا يزال موصوفا بالرحمة سبحانه وتعالى .

فهذان اسمان عظيمان ، وقد أنكر الكفار اسمه الرحيم ، فأنكر الله عليهم ذلك وكفرهم ﴿ **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا** ﴾ [الفرقان : ٦٠] ، ﴿ **كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أ مم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب** ﴾ [الرعد : ٣٠] .

إذًا الرحمن الرحيم ، اسمان من أسمائه الحسنى دالان أيضا على صفة الرحمة .

وفي الآيات الأخرى ، التصريح بصفة الرحمة ، قال الله :﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ ، ﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمة و علما** ﴾ ، وقوله سبحانه

وتعالى : ﴿ **فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين** ﴾ ، فالعباد يوصفون بالرحمة ، الراحمون يرحمهم الله ، ﴿ **رحماء بينهم** ﴾ [الفتح : ٢٩] العباد يوصفون بالرحمة ، وليس هذا من التشبيه في شيء ، فللمخلوق الرحمة التي تناسبه ، وللرب ال رحمة التي تناسبه وتليق به ، وليست الرحمة كالرحمة ولا الرحيم كالرحيم .

المخلوق يوصف بالرحمة ، كذلك يسمى رحيما ، كما قال الله في النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيما** ﴾ [الأحزاب : ٤٣] ، فالله رؤوف رحيم ، والنبي رؤوف رحيم ، وليس الرؤوف كالرؤوف ، ولا الرحيم كالرحيم .

فللمخلوق من هذه الأسماء ، ومن هذه الصفات ما يناسبه ، وللرب تعالى من أسمائه وصفاته ما يناسبه ويليق بعظمته وجلاله وكبريائه ، وأهل السنة والجماعة ، منهجهم في هذه الصفة ، وفي هذه الأسماء منهج واحد ، إثبات ما أثبته الله لنفسه ، من الأسماء والصفات ، مع نفي التمثيل ، ونفي العلم بالكيفية ، وهذا هو معنى قول السلف في نصوص الصفات : أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف ، يعني أمروها كما جاءت ، مثبتين لما تدل عليه ، غير محرفين لها ، ولا مكيفين لما تدل عليه بلا كيف .

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله صفة الرحمة على حقيقتها ، وأما أهل الكلام ، أهل البدع والضلال ، فهم ينفون حقيقة الرحمة عن الله ، ويفسرون الرحمة في حقه بنحو ما يفسرون به المحبة فيما سبق ، يفسرونها بالإرادة ، أو بما يخلقه الله من النعم والمنافع التي ينتفع بها العباد ، الجهمية والمعتزلة

والأشاعرة ينفو ن حقيقة الرحمة ؛ لأنهم يقولون : إن الرحمة رقة تعتري من

.....

قامت به الرحمة ، وهذا ما لا يليق به سبحانه ، الرقة فيها ضعف ، وهذا خطأ ، هذا تفسير لرحمة المخلوق ، وهي التي يمكن أن يعبر عنها بأنها رقة تعتري من قامت به ، هذه رحمة المخلوق .

فبسبب هذا التوهم ــ لما توهموا من إثبات صفة الرحمة ، أنها مثل رحمة المخلوق ــ نفوا حقيقة الرحمة ، وفسروها إما بالإرادة ، فقالوا : الرحمة من الله إرادته للإنعام والإحسان على عباده .

أو أن المراد برحمته تعالى ، هو ما يخلقه تعالى من النعم التي ينعم الله بها على عباده .

نعم ، الواقع أن هناك رحمة هي مخلوقة ، لكن هذا غير الرحمة التي هي صفة الرب سبحانه وتعالى ، فالرحمة تضاف إلى الله صفة له ، كما في هذه الآيات ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ ، ﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما** ﴾ ﴿ **ربي اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين** ﴾ [الأعراف : ١٥١] ، ﴿ **فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين** ﴾ ، فهذه الرحمة ، هي الصفة التي هي صفة الرب قائمة به ، كعلمه وسمعه وبصره ، وأما الرحمة المخلوقة فإضافتها إليه إضافة المخلوق إلى خالقه ، كما في الحديث الصحيح : ((أن الله خلق مائة رحمة ، أنزل منها واحدة ، وجعلها بين العباد يتراحمون بها ، وادخر عنده تسعاً وتسعين ، ويوم القيامة يتممها مائة ، ويجعلها كلها في الجنة ، يرحم بها عباده المؤمنين)) .

والجنة هي رحمته ، سبحانه وتعالى ، ﴿ **وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون** ﴾ [آل عمران : ١٠٧] في الجنة ، وتقول : أدخلني برحمتك ، هذا توسل إلى الله بالرحمة ، هذه صفة ، أدخلني برحمتك

.....

في عباده الصالحين .

﴿ **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته** ﴾ [الجاثية : ٣٠] هذه هي الرحمة المخلوقة ، ﴿ **فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين** ﴾ .

فالرحمة المضافة لله نوعان : صفة له ، أو صفة الرحمة المخلوقة .

فالأولى : إضافة إلى الله ، من إضافة الصفة للموصوف .

والثانية : من إضافة المخلوق إلى خالقه .

فلنظر ، بعدما ذكر إنزال الغيث ، بعد يأس من العباد ، قال الله :
﴿ **فأنظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها** ﴾ [الروم : ٥٠] فالمطر رحمة ، ونعم الله هي رحمة منه لعباده ، والجنة هي رحمته التي يرحم بها عباده المؤمنين .

فالمقصود أن هذه الآيات هي دالة على إثبات ما اشتملت عليه من أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، فيجب إثبات ذلك له سبحانه وتعالى ، على ما يليق به ، ويختص به ، بلا تحريف ، و لا صرف للنصوص على ظاهرها ، كما يفعل أهل التعطيل والضلال ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، فالمنهج واحد في كل النصوص ، هذا منهج أهل السنة والجماعة .

وأما المعطلة فينفون حقيقة الصفات ، ثم يأولون النصوص ، هذا هو الغالب عليهم ، ومنهم من يفوض ويقول : هذه النصوص لا نقول فيها شيئا ، بل نمرها ألفاظا دون تفسير لها ، ودون فهم لمعناها ، فهي نصوص لا تدل على شيء ، ولا يفهم منها شيء .

وكلا القولين باطل ــ أعني قول أهل التفويض أهل التأويل ــ بل هذه

النصوص دالة على معانٍ معقولة ، يفهمها من و فقه الله ، فهي تدل على إثبات هذه الأسماء وهذه الصفات لربنا سبحانه وتعالى ، وبهذا عرفنا أنه تعالى رحمن ، وأنه رحيم ، وأن رحمته واسعة ، وأنه سبحانه وتعالى وسع كل شيء رحمة وعلما ، وأنه لم يزل ولا يزال رؤوفا رحيما ، سبحانه وتعالى .

وهذا العلم وهذا الإيمان ، يو جب التوجه إلى الله بطلب رحمته ، ويبعث الرجاء في قلوب المؤمنين .

إذا تدبر المسلم هذه الآيات تعلق قلبه بربه ، وقوي أمله فيه ، وقوي رجاؤه، فصار يرجو رحمته ، كما قال الله في صفة المؤمنين : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محظورا** ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

ولهذا ، المؤمن بناء على هذا العلم ، يضرع إلى ربه ، اللهم ارحمني ، وارحم عبادك المؤمنين ، فيدعو لنفسه بالرحمة ، ويدعو لإخوانه المؤمنين ، يسأل ربه أن يرحمه ، وإذا رحمه الله ربه ، أنعم عليه بأنواع النعم ، وأعظم رحمة يرحم الله بها عبده ، أن يوفقه للإيمان والعمل الصالح ، والاستقامة على ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وقوله : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خ الدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ [النساء : ٩٣] ، **وقوله : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾** [محمد : ٢٨] ،**وقوله : فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾** [الزخرف : ٥٥] ، **وقوله : ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ﴾** [التوبة : ٤٦] ، **وقوله ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾** [الصف : ٣]

الشرح :

كذلك هذه الآيات اشتملت على بعض صفات الرب سبحانه وتعالى ، وهي الرضا ، والغضب ، والكراهية والمقت ، فالله تعالى موصوف بهذه الصفات ، فالله وصف نفسه بالرضا عن عباده ، **﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾** [البينة : ٨].

وبالغضب والسخط على أعدائه ، **﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾** ، **﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾** [البقرة ٩٠] ، وقال سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة : **﴿ غير المغضوب عليهم ﴾** المغضوب عليهم من الله ، وهم اليهود ، وقال في المنافقين : **﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾** كره ، فالله تعالى يكره .

وكما في الحديث : ((إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)) . وقال سبحانه وتعالى : **﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾** [الإسراء : ٣٨] .

وكذلك وصف نفسه بالمقت للكافرين : **﴿ لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم ﴾** [غافر : ١٠] والمقت هو أشد البغض .

فكما أنه يحب أولياءه ، يحب المؤمنين ، يحب المقسطين ، التوابين ،

والمتطهرين ، ويحب المتوكلين عليه ، كذلك يمقت الكافرين ويبغضهم ويكرههم .

وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفات ، ويمررونها كما جاءت ، يؤمنون بأنه تعالى يرضى ، ويغضب ، ويكره ويمقت ،حسبما يليق به سبحانه وتعالى .

والمخلوق يوصف بهذه الصفات يوصف بالرضا ، **﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾** في آية واحدة ، وليس الرضا ككل .

والمخلوق يغضب ، ﴿ **ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا** ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ﴿ **ولما سكت عن موسى الغضب** ﴾ غضب من ؟ غضبه هو ، وليس الغضب كالغضب .

كذلك المقت في آية واحدة ، ﴿ **لمقت الله أكبر من مقتكم** ﴾ .

والمخلوق يوصف بأنه يكره ، ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** ﴾ [الحجرات : ١٢] ، يكره ، وليس صفة الخالق صفة المخلوق ،

ولا صفة المخلوق كصفة الخالق ، فيجب إثبات ما أثبته الله لنفسه ، مع نفي التمثيل ، ونفي العلم بالكيفية .

مذهب أهل السنة والجماعة ، في نصوص الصفات ، قائم على هذه الأصول الثلاثة ، يتضمن ثلاثة أشياء :

- إثبات ما أثبته الله لنفسه .
- مع نفي التمثيل ، أي نفي مماثلته تعالى لخلقه ، وأن صفاته لا تماثل صفات المخلوقين .

- ثالثا : نفي العلم بالكيفية ، فصفاته تعالى ، لا يعلم أحد من خلقه كيفيتها ، صفة الرب لها كيفية ؟ نعم ، لكن الذي يعنينا ويجب علينا ألا نبحث عن كيفية صفة الرب ؛ لأن ذلك لا علم لنا به ، قد أستأثر الله بعلم كيفية ذاته وصفاته .

ولهذا نقول : نفي العلم ، لا نقول : نفي الكيفية ، نفي العلم بالكيفية . فنحن لا نعلمها ، وقول السلف : تَمُرُّ كما جاءت بلا كيف ، يعني بلا تكييف لصفاته ، وبلا بحث عن كيفية صفاته .

وأما المعطلة من الجهمية والمعتزلة ، وكذلك الأشاعرة ، في هذه الصفات ، فإنهم ينفون حقيقة الرضا والغضب والكراهة والمقت ، ويفسرون هذا كله بالإرادة ، بإرادة الانتقام ، نحو تفسيرهم الرحمة والمحبة فيما تقدم ، يفسرون هذه المعاني بإرادة الانتقام ، يعني ينفون حقيقة الرضا ، وحقيقة الغضب ، وحقيقة الكراهة ، والبغض ، ويفسرون ذلك :

إما بالإرادة ، وإما ببعض المفعولات ، وهي ما يخلقه تعالى من العقوبات ، يعني نفس العقوبة التي يخلقها الله ، هي الكراهة ، وهي الغضب ، وهي كذا وهي كذا .

وكذلك الرضا ، يفسرونه بإرادة الإنعام ، نحو تفسيرهم للمحبة والرحمة ، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه ، كما تقدم .

ويدعون مثلا أن الغضب هو غليان دم القلب ، طلبا للانتقام ، وهذا المعنى لا يليق بالله ، فيقال لهم : هذا تفسير لغضب المخلوق ، هذا حقيقة غضب المخلوق ، وما يمكن يقال عنه غضب المخلوق ، هو الذي يمكن أن يفسر بأنه غليان دم القلب ، أما غضب الرب فلا ، ما يفسر هذا التفسير .

.....

غضب الرب معنى معقول يقابل الرضا ، أو ضده الرضا ، ومن آثاره الانتقام وإنزال العقاب بمن غضب الله عليه ، نعوذ بالله من غضب الله .

فيجب الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه ، من هذه الصفات ، والإيمان بأنه تعالى يرضى ، ويغضب ، ويكره ، ويمقت ، يوجب للعبد خوفا ورجاء ، ويوجب له أن يطلب رضا الله ، وأن ترغب نفسه في ذلك ، إن رضوان الله لأكبر ما يمن الله به على أوليا ئ ، حتى إذا دخل المؤمنون الجنة ، الله يتجلى لهم ويقول لهم : ماذا تريدون ؟ ألا أعطيكم ما لم أعطي أحد ؟ فيقولون : ماذا نريد وقد أعطيت لنا ، بيضت وجوهنا ، وأدخلتنا الجنة ، فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا ، أو كما جاء في الحديث ، أحل عليكم رضواني فلا أسخط ، فهذا أفضل ما يعطي الله أولياءه ، قال الله تعالى : **﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ﴾** [التوبة : ٧٢] رضوان من الله يحله على أوليا ئ هو أكبر من نعيم الجنة ، يعني مما في الجنة من أنواع النعيم من المطاعم ، والمشارب ، والملابس ، ونحو ذلك .

الإيمان بأنه تعالى يغضب ، يوجب للعبد أن يخاف من غضب الله ، فيستعيذ بالله من غضب الله . وفي الحديث الصحيح : ((أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)) . فللإيمان بأسماء الرب وصفاته آثار على القلب ، آثار على قلوب العبد ، العلم بأسماء الله وصفاته والإيمان بها ، والتحقق بذلك ، له آثار باطنة وظاهرة ، تورث الموفقين من عباد الله محبته سبحانه ، وخوفه ورجاءه ، والتوكل عليه ، كل هذا من آثار الإيمان بأسمائه وصفاته .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، **وقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾** [الأنعام : ١٥٨] ،**وقوله تعالى : ﴿ كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾** [الفجر : ٢١] **وقوله : ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾** [الفرقان : ٢٥]

الشرح :

وهذه أربع آيات أيضا هي من نصوص الصفات ، وهي تدل على إثبات صفة فعلية ، وهي المجيء والإتيان ، ومعناهما متقارب ، ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾ ينظرون يعني : ينتظرون ، هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ، وذلك يوم القيامة ، وهذا اليوم الذي يأتيهم الله فيه يوم عصيب عليهم ، ماذا تكون حالهم إذا لقوا الله وقد كفروا به وبرسله ، وأشركوا به ، وأعرضوا عن هداه ؟! إنه لموقف ذل وهوان وحسرة ، إذا جاء سبحانه وتعالى وهذه حالهم ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة** ﴾ والملائكة يأتون كما في آية الفجر ﴿ **وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾ ، تأتي الملائكة ، وهكذا قوله سبحانه : ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك** ﴾ ، وكل هذا حاصل ، كل هذا سيأتي ، ستأتي الملائكة ، ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا** ﴾ [الفرقان : ٢٢] إلى أن قال تعالى : ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** ﴾ [الفرقان : ٢٥] .

والقرآن متشابه يصدق بعضه بعضا ؛ فالآية الأولى قال : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾ هناك ظلل من الغمام السحاب ، الله أعلم بمداه ، وبمقداره ، وبصفته ، أمور غيبية لا تحيط بها عقول العباد ، ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام** ﴾ تشقق السماء ، وتأتي منها ظلل الغمام ، وتنزل منها الملائكة ، ﴿ **ونزل الملائكة تنزيلا** ﴾ ، تنزل الأملاك بأمر الله ، الملائكة تنزل بأمر الله ، وتفعل ما تؤمر به ، مما يشاء سبحانه وتعالى ، فالملائكة في الدنيا والآخرة ، هم رسل الله ، يوكلون بما يشاؤه سبحانه ، ملائكة موكلون بالوحي ، بالقدر ، بقبض الأرواح ، بالجبال ، بما شاء سبحانه وتعالى .

ويوم القيامة أيضا يأتون ويفعلون ما يؤمرون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ﴿ **ونزل الملائكة تنزيلا** ﴾ ، ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك** ﴾ متى ؟ ، يوم القيامة ، ﴿ **أو يأتي بعض آيات ربك** ﴾ وجاء تفسير هذا البعض وهو طلوع الشمس من مغربها ، كما ثبت في (الصحيح) في تفسير هذه الآية ، أنه إذا طلعت الشمس من مغربها آمن من على وجه الأرض ، ولكن ﴿ **لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت** ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

فيجب إثبات ما دلت عليه هذه الآيات ، من مجيئه سبحانه وتعالى ، فيجب الإيمان بأنه يجيء كيف شاء ، ولا يصح أن يتخيل العباد كيفية مجيء الرب ونزوله سبحانه وتعالى ، لا يصح أن نتخيل أو نفكر في هذا أبداً ؛ لأنه لا سبيل لعقول العباد أن يتصوروا كيفية نزوله ، وكيفية مجيئه سبحانه وتعالى ، بل ينزل كيف شاء ، ويجيء كيف شاء سبحانه وتعالى ، فالعقول قاصرة عن

تكييف ذاته ، وصفاته ، بل هي قاصرة عن تكييف بعض المخلوقات ، وهي عن تكييف الرب تعالى وصفاته أعجز .

وأهل السنة والجماعة يثبتو ن ذلك ، ويؤمنون به ، ويعلمون أنه تعالى سيأتي يوم القيامة للفصل بين عباده والحكم بينهم ، ويجزي العاملين بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، في ذلك اليوم ، الذي هو يوم الدين .

والإيمان باليوم الآخر ، والإيمان بما يكون فيه من مجيء الرب ، ومجيء الأملاك ، ي وجب الإعداد لذلك اليوم ؛ فإن من الناس من يلقى ربه وهو عنه راض ، فيلقاه مسرورا ، ويتلقاه ربه بأنواع الكرامات ، ومن الناس من يلقى ربه وهو عليه غضبان ، نعوذ بالله من ذلك .

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يسعد بلقائه ، ويكون فائزا مسرورا بذلك ، إنه تعالى سميع الدعاء ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، **وقوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾** [القصص : ٨٨] ، **وقوله : ﴿ وما منعك أن تسجد لما خلقت ﴾** [ص : ٧٥] ، **وقوله : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾** [المائدة : ٦٤] ، **وقوله : ﴿ فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾** [الطور : ٤٨] ، **وقوله : ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾** [القمر : ١٣ ــ ١٤] ، **وقوله : ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾** [طه : ٣٩] .

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه .

هذه الآيات ساقها المؤلف شواهد وأدلة على إثبات بعض صفات الرب سبحانه وتعالى ، فهي من نصوص الصفات ، فدلت الآيتان الأوليان على إثبات الوجه له سبحانه وتعالى ، والآيتان الأخريان على إثبات اليدين ، والآيتان الأخريان على إثبات العين له سبحانه وتعالى .

وأهل السنة والجماعة يثبتون هذا كله لله على ما يليق به سبحانه ، يثبتونه على نفي التمثيل ، ونفي العلم بالكيفية ، يثبتون الوجه لله ، واليدين ، والعينين .

إن وجهه ليس كوجوه العباد ، العباد لهم وجوه ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** ﴾ [**القيامة : ٢٢**] ، وليس وجه الخالق كوجه أحد من الخلق .

ولا يعلم العباد كيفية وجهه ، كما لا يعلمون كيفية ذاته ، هذه دلالة تقدم التنبيه عليها .

وهكذا يثبت أهل السنة اليدين له تعالى ، تصديقا لخبره سبحانه وتعالى ، أنه تعالى له يدين ، يفعل بهما ، ويخلق بهما ما يشاء ، وليست كأيدي العباد ، ولا يعلم العباد كيفيتهما .

وهكذا العينان ، يثبتهما أهل السنة ، يؤمنون بأن لله عينين ، ويرى بهما ، كما في الآيتين : ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ [القمر : ١٤] ، ﴿ **فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ [الطور : ٤٨] ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ [طه : ٣٩] .

وأهل الضلال الذين أصلوا أصولهم الباطلة ، ومن أصولهم أنه تعالى لا تقوم به أي صفة ، فهو ذات مجرد ، فهؤلاء ينفون حقيقة الوجه ، واليدين ، والعينين ، كل هذا ، يقولون : إن إثبات هذا لله تشبيه ، فينفون عن الله الوجه ، ليس لله وجه ، وليس له يدان يفعل بهما ، ويخلق بهما ، وليس لله عينان أبداً ، ينفون هذا كله ، وهذا رد لما أخبر الله به ورسوله ، ويسلكون في هذه النصوص :

- إما طريقة التفويض ، يقولون : هذه نصوص تقرأ و لا تتدبر ولا يفهم منها شيء ، ولا تدل على إثبات صفات له سبحانه وتعالى .
- وآخرون يتأولون هذه النصوص ، فيأولون الوجه ، يقولون : ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ الوجه هذه كلمة زائدة ، صلة ، ما لها معنى ، المعنى : ويبقى ربك ، هذه الصلة ما لها معنى ، حذفها ما يضر بالكلام ، تعالى الله عما يقولون ،، أو المراد

بالوجه نفس الذات ، ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ يعني ذات ربك ،، أو الثواب ، وجه ربك يعني ثواب ربك ، وهذه من تأويلاتهم وتحريفاتهم الباطلة السمجة .

ولا موجب لهذا إلا أصلهم الباطل ، وهو نفي صفات الرب سبحانه ، فلما أصلوا الأصل الباطل ، لابد أن يقفوا لهذه النصوص موقفاً، يدفعون به معارضتها لمذهبهم الباطل ، فيحرفونها .

وهكذا اليدان يؤولونهما بالقدرة ، اليد : القدرة ، اليد : النعمة ، وهذه تأويلات تخالف سياق الكلام ، ولا أصل لها من اللغة ، ولا من الشرع ، ولا يقال له قدرتان ، الله له قدرة تامة ، لا يعجزها ولا يستعصي عليها شيء ، ونعمه ليست نعمتان ، بل نعم كثيرة ، لا تحصى ، ولو كان معنى : ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** ﴾ يعني بقدرتي مثلا ، لما كان لآدم خصوصية ، وآدم كغيره حينئذ ، الكل مخلوق بقدرته سبحانه وتعالى .

وهكذا يتأولون ، يعني العينين بنفسه ، البصر أو الرؤية عند من يثبت الرؤية أو البصر أيضا كالأشاعرة ، الأشاعرة يثبتون البصر ، الرؤية مثلا لأنه بمعناها أو قريب منها ، لكنهم لا يثبتون العينين له سبحانه وتعالى ، وأما أهل السنة فمجمعون على إثبات هذه الصفات .

وقد دل على إثبات هذه الصفات الكتاب والسنة والإجماع ؛ فقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ [الرحمن : ٢٦] فناء كل ما على الأرض ، سيفنى ويذهب كل ما عليها من نبات وحيوان ، ثم يبعث الله الموتى من قبورهم بعدما يفنيهم جميعا ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ وهكذا قوله ﴿ **كل شيء هالك** ﴾ [القصص : ٨٨] ، كل شيء هالك وميت ، يموت الإنس والجن

والملائكة الكل إلا وجهه سبحانه وتعالى .

فتدل هاتان الآيتان على إثبات الوجه له تعالى ، وتدل على بقائه ، على أنه سبحانه وتعالى الباقي الذي لا يفنى كما يفنى غيره ، له البقاء والدوام ؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيء ، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء ، فلا يجوز عليه الفناء ولا الموت ؛ هو الحي الذي لا يموت ، والقوي الذي لا يضعف ، والقدير الذي لا يعجز ، سبحانه وتعالى .

وليس لقائل أن يقول : إن قوله : ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ إن الآية إنما تدل على بقاء الوجه فتحتاج إلى تأويل . كما طرح هذا بعض السائلين ، لا يتوهم هذا إلا جاهل بدلالات الكلام ، كل عاقل يعرف أساليب الكلام ولاسيما اللغة يدرك أن معنى قوله : ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ أنها تدل على بقائه تعالى وعلى أن له وجهاً ، ولا تدل بظاهرها أبداً على أن البقاء لوجهه فقط ، هذا فهم ساذج وسمج وساقط ، من يزعم أن ظاهر الآية أن البقاء لوجهه فقط وأن هذا ظاهرها فتحتاج إلى تأويل ، فهو هكذا ساذج لا يحسن فهم الكلام .

والتأويل هو صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر ، أو عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، فنسأل : هل هاتان الآيتان تحتاجان إلى تأويل ، بحيث أنه يقول أن ظاهره ما ، أنه سبحانه

وتعالى ، أن البقاء لوجهه فقط ــ أعوذ بالله من ذلك ــ هل هذا ظاهرها ؟ لا ، ليس ظاهر الآيتين هذا ، بل ظاهرهما أنه سبحانه وتعالى الباقي ، ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ . يفهم كل عاقل يفهم دلالات الكلام أن هاتين الآيتين يفهم منهما أنه سبحانه وتعالى الباقي الذي لا يفنى وأن له وجهاً .

فأفادنا التركيب إثبات البقاء له تعالى وإثبات الوجه له سبحانه وتعالى ،

ولا يفيد أن البقاء خاص بالوجه دون ذاته تعالى ، تعالى الله عن فهم الخاطئين الغالطين .

فدلت الآيتان على أن له وجه اً ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى وجهه بالجلال والإكرام ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال** ﴾ فوجهه موصوف بالجلال ، بالعظمة والكبرياء وبالإكرام ، ﴿ **ذو الجلال** ﴾ فهو تعالى الذي يكرم عباده ، وهو المستحق للإكرام ، هو المستحق من عباده أن يكرموه بطاعته وبتقواه وبتعظيمه وبإجلاله ، ثناءً عليه وتمجيداً له ، وتعظيماً له ، وتنزيها له عن كل نقص وعيب ، ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ فوجهه يوصف بالجلال والإكرام وهو تعالى يوصف بالجلال والإكرام ، كما قال سبحانه في آخر سورة الرحمن : ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾ فهو تعالى ذو الجلال والإكرام .

كما تدل الآيتان على أن كل عمل لغير الله باطل ، كل شيء هالك ، فإذا كان كل شيء ذاهباً وأن البقاء له وحده ، فهو الذي يبقى ولا يفنى ، ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ ؛ فإن ذلك يتضمن أنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ، وأن كل عمل لغيره فهو فان هالك ذاهب ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** ﴾ [الفرقان : ٢٣] ولا يبقى إلا ما كان خالصا لوجهه ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** ﴾ [الكهف : ٤٦] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **ما منعك أن تسجد** ﴾ توبيخ من الله لإبليس عندما امتنع من السجود لآدم ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** ﴾ يظهر الله فضل آدم ، وقد فضله الله بفضائل : نفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل

شيء ، وأسجد له الملائكة ، وخلقه بيده ، من بين سائر المخلوقات .

كل الموجودات هي خلقه سبحانه وتعالى خلقها بقدرته ومشيئته وأمره ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ [النحل : ٤٠] لكن آدم خلقه الله بمشيئته وبأمره ،﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ [آل عمران : ٥٩] ولكن خص آدم بأن خلقه بيديه تعالى كيف شاء ، والله يفعل بيديه ما شاء ، ويأخ ذ بيديه ما شاء ، كما ثبت في الصحيحين ، عن النبي

صلى الله عليه وسلم ((أن الله يأخذ يوم القيامة أرضه وسماءه بيديه فيهزهن ويرجهن ويقول أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون)) ، وهذه الأحاديث تفسر قوله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه**)) [الزمر : ٦٧] له يدان سبحانه وتعالى يفعل بهما ، يخلق بهما ، يأخذ بهما ما شاء كيف شاء ، ولا نكيفهما ، ولا نتخيلهما أبدا ، نؤمن بهما ، نؤمن بأن لله يدين حقيقة يفعل بهما ، يخلق بهما ما شاء ، يأخذ بهما ما شاء سبحانه وتعالى .

ولا نقول : إنه له يدان وليستا جارحتين ؛ فإن هذه العبارة يطلقها بعضهم ، وهي عبارة مبتدعة موهمة ، وقد تتضمن نفي حقيقة اليدين ، يعني له يدين لكن ليست يدين .

فلفظة جارحة تحتاج إلى تفسير ، من أين ؟ له يدان حقيقة ، وإذا قلنا له يدان حقيقة فلا يعني أن يديه كأيدي أحد من الخلق ، لكن يدان يفعل بهما ، يأخذ بهما ما شاء ، سبحانه وتعالى .

وكذلك قوله : ﴿ **تجري بأعيننا ....** ﴾ الآيات . هذا إخبار من الله عن

سفينة نوح عندما أمره الله بصنعها فصنعها ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** ﴾ [هود : ٣٧] ، فنوح عليه السلام صنع الفلك على عين الله وبمرأى من الله ، وجرت به وبمن معه من المؤمنين أيضا بمرأى من الله ، تجدون في تفسير أهل السنة ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ أي : بمرأى منا ، وليس هذا من التأويل في شيء ، فللمعنى : تجري والله تعالى يرعاها ويراها بعينه التي لا تنام ، فمن قال تجري بمرأى منا فقد عبر عن المعنى تعبيرا صحيحا ، وليس هذا تأويلا للعين ولا نفيا للعين ، بل هذا يتضمن إثبات العين لله جل وعلا ، لأن العين بها تكون الرؤيا ، ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ ، فيه تصبير للرسول ، وتثبيت لقلبه ، ﴿ **اصبر لحكم ربك** ﴾ على أذى أعدائك ، اصبر ، ﴿ **فإنك بأعيننا** ﴾ ، بأعيننا بمرأى منا ، فالله يراك ، ومن كان الله يراه ، ويرعاه ، ويحفظه ، ويحرسه فإنه لا خوف عليه ، كما قال تعالى :

﴿ **وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم** ﴾ [الشعراء : ٢١٧ــ ٢٢٠] .

ويقول أهل السنة : إن لله عينين ، وإن كان لفظ العينين لم يرد في القرآن ، ولم يصح به حديث فيما أعلم ، وإن ذكر فيه حديث ، لكن في ثبوته نظر ، لكن أهل السنة فهموا من كلام الله ، من القرآن أن لله عينين ، ولا يجوز الخروج عن سبيل المؤمنين ؛ فسبيل المؤمنين هو هذا ، وقوله : ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ [طه : ٣٩] في موسى ، يربى في بيت فرعون على عين الله ، والله تعالى يرعاه ويحفظه ، ويحرسه سبحانه وتعالى ، من كيد الكادين ، ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ ، ﴿ **ألقيت عليك**

محبة مني ﴾ ، فالله تعالى يحبه ، وحببه إلى من شاء من عباده ، ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ هذه

الآية تدل على إثبات العين لله ، لكن لا يصح أن يقال أنها تدل على أنه ليس لله إلا عين ، هذا فهم خاطيء لا يصدر إلا من جاهل بدلالات الكلام ؛ فكما أن قوله تعالى : ﴿ **بيده الملك** ﴾ [الملك ك ١] هل تدل على أنه ليس لله إلا يٍ واحدة ؟ كما يقوله الغالطون ، ليس لله إلا يد واحدة ﴿ **بيده الملك** ﴾ ، لا ، من كان له يدان ، يقال : هذا بيده ، وأخذ هذا بيده ، ولا يدل على إفراد اليد ، أو على أنه ليس لله إلا يد ، إذًا قوله : ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ لا يدل على أنه ليس لله إلا عين ، كل من كان على الفطرة ، وفطرته نقية سليمة من الشبهات ، ووساوس الشيطان ، أبدا لا يتبادر إلى ذهنه ، أنه ليس لله إلا عين واحدة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ هذا الأسلوب لا يدل على أن لله أعين ، كما أن قوله تعالى : ﴿ **مما عملت أيدينا** ﴾ [يس : ٧١] لا يدل على أن لله أيدي كثيرة .

والحقيقة أنه لولا وجود بعض الأفكار والوساوس والتساؤلات ، لما كان هناك داعٍ لهذا التوقف ، لكن هناك إلقاءات شيطانية ، تكلم بها من تكلم من أهل البدع ، وتكلم بها من جهال الناس .

إذًا ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ لا يدل على أن لله أعين ؛ لأن من قواعد اللسان العربي أن المثنى إذا أضيف إلى الجمع ، أو صيغة الجمع ، فإنه يذكر بلفظ الجمع ، قال أهل العلم : كقوله تعالى :﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ [المائدة : ٣٨] السارق والسارقة ، تقطع كم ؟ أربع أيدي لهما ، تقطع أربع أيدي لهما ؟ يدان ، من السارق يد ومن السارقة يد ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ **فقد صغت قلوبكما** ﴾ [التحريم : ٤] للمرأتين قلوب ؟ أم قلبان ؟ ، هذا في قصة

عائشة وحفصة ، ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ ، إذًا الجمع هذا ما يدل على أن للمرأتين عدداً كبيراً من القلوب .

إذًا هذه الآيات استدل بها أهل السنة ، على إثبات العينين لله تعالى ، ولا يجوز التوقف في هذا البتة ، لا يتوقف في هذا إلا جاهل بما عليه السلف الصالح ، وجاهل بدلالات الكلام .

فيجب الإيمان بكل هذه الصفات على ما يليق به سبحانه ، فلا يشبه شيء من صفاته شيء من المخلوقين ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، ولا يعلم العباد كيفية شيء من هذه الصفات ، فلا يجوز أن نتخيل كيفية وجهه أو كيفية يده أو كيفية العينين له تعالى ، لا تفكر فيما لا سبيل إليه ؛ فإن هذا من العبث ومن الهوس ومن التشابه ومن فتح أبواب الأفكار الفاسدة ، تفكر في

ماذا ؟ نؤمن أنه تعالى ذو سمع وذو بصر ، فهو سميع وسمعه واسع لجميع الأصوات ، وذو بصر ، كما تقدم ، بصر نافذ لجميع المخلوقات ، وأن له تعالى عينين يرى بهما كيف شاء ، وله عينان تليقان به حقيقة ، كما أن له يدين حقيقة ، كما أن له علما وقدرة وحياة حقيقة ، كل ذلك للرب تعالى على ما يليق به ويختص به ، لا يماثل شيء من صفاته صفات خلقه .